. الأدب الإسلامي المعاصر

ديوان

أربعون ساعة مع الخضر

للشاعر التركي المعاصر

سزائي قراقوچ

ترجمة وتقديم وتعليق

دكتور

عبد الرازق بركات

كلية الآداب - جامعة عين شمس



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٦ / ٩٧٦١

قراقوج، سزائي
أربعون ساعة مع الخضر : ديوان / لسزائي قراقوج
ترجمة وتقديم وتعليق : عبد الرازق بركات.
ط٢ - القاهرة : دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦
٢١٦ ص؛ ١٧ × ٢٤سم. (الأدب الإسلامي المعاصر)
تدمك : ٦ - ٧٥ - ٥٥٠٢ - ٩٧٧
١- الشعر الديني
٢- الشعر التركي
أ - بركات، عبد الرازق (مترجم)

تصديـر

أصاب حركة الترجمة في الفترة الأخيرة ما أصاب الحياة الفكرية في مصر بصفة عامة من هزال وعشوائية. وبصرف النظر عن اللهاث، وتقطع الأنفاس حبواً وراء كل ما هو غربي في الفكر، والأدب، والعلم، والتقنية الذي أصبح سمة حياتنا المعاصرة، فالملاحظ هو تأصل ظاهرة عدم الالتفات إلى ترجمة الإبداع الأدبي للشعوب الإسلامية، في الفارسية، والتركية، والأردية، وغيرها.

وإنه لمن الطبيعي أن تتوجه حركة الترجمة نحو الغرب في مجالات العلم والتقنية بحكم تقدمه الهائل فيها، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن تكون الآداب الغربية في نفس درجة الرقي والتقدم العلمي الغربي. فليس هناك ارتباط شرطي بين التفوق الحضاري والإبداع الأدبي، بحيث يكون المتفوق حضاريا، صاحب إبداع أدبي متفوق، والمتخلف حضارياً، صاحب إبداع أدبي متخلف كذلك.

وإني لأزعم أن لدى الشعوب الإسلامية، في عصرنا هذا، إبداعا أدبيا راقيا، يضارع الأدب الغربي فناً، ويتميز عنه باشتراك قدر كبير من تجاربه في معالجة قضايا ذات اهتمام مشترك بين المسلمين جميعا؛ وذلك نظراً لوحدة الأزمة الحضارية الراهنة التي تعم العالم الإسلامي بأسره، فكلنا في الهم شرق، كما يقال.

وتلك خصوصية خليقة بلغت النظر إلى تلك الآداب، وانتخاب التجارب الإبداعية المتميزة منها، وترجمتها إلى اللغة العربية. ومن شأن ذلك أن يساعد في تقوية الروابط بين الشعوب الإسلامية، وأن يفتح أمام الدارسين بابا واسعا للدراسات المقارنة بين آداب تربط بينها صلات دينية وتاريخية وحضارية خالدة.

ثم إني رأيت أن الأدباء والمثقفين العرب لا يعرفون من الشعراء الأتراك المعاصرين غير (ناظم حكمت) ١٩٠٣م / ١٩٦٥م، وهو شاعر ذاعت شهرته في العالم العربي أكثر منها في وطنه تركيا. ولعل ميول الشاعر الشيوعية الواضحة في شعره، كانت وراء ترجمة أعماله الشعرية الكاملة إلى العربية أكثر

من مرة في العراق والشام. في الوقت الذي لا يتحمس فيه لناظم حكمت في تركيا غير الشيوعيين، بينما يصمه القوميون بالخيانة الوطنية، والإسلاميون بالمروق. كما أن ما أشيع عنه بين العرب من أنه أشعر الشعراء الأتراك المعاصرين، قول لا يخلو من تحيز ومبالغة. وقد يكون للأدباء والمثقفين العرب بعض العذر في ذلك، فلم ينقل لهم إلى العربية من الشعر التركي المعاصر أي عمل شعري كامل لشاعر آخر.

من أجل ذلك قمت بترجمة ديوان (أربعون ساعة مع الخضر) للشاعر التركي المعاصر سزائي قراقوچ ١٩٣٣م... وهو شاعر يعد الآن أكبر شعراء الاتجاه الإسلامي في الشعر التركي المعاصر، خاصة بعد وفاة رائد ذلك الاتجاه نجيب فاضل عام ١٩٨٣م. و(قراقوچ) شاعر ومفكر أوقف حياته لرسالته، وأدبه، وفكره، وحشد في شعره كل طاقاته الإبداعية لتجسيد أزمة العالم الإسلامي الحضارية، ومعالجة أسبابها، ورصد واقعها، وتجاوزه استشرافا لمستقبل يتحقق فيه الإحياء الإسلامي الذي يعود خيره على المسلمين، والبشر أجمعين. ولا يفهم من ذلك أن شعره من ذلك النوع الخطابي التقريري الذي تطغى فيه القضية على الفن، بل هو نموذج رائع للشعر، يجمع بين شرف القضية وعظمتها، وروعة الفن وجماله. كما أن ديوان (أربعون ساعة مع الخضر) هو الديوان الوحيد في الشعر التركي المعاصر الذي يتخذ من شخصية (الخضر) الدينية قناعاً تتخلل إيحاءاته كل قصائد الديوان الأربعين ممتزجة بصوت الشاعر في نسيج متلاحم تسري فيه روح الماضي والحاضر والمستقبل.

وقد بدأت ترجمة هذا الديوان منذ عام ١٩٨٥م عندما كنت مبعوثا بتركيا، وكنت أتردد على الشاعر بين آن وأخرى برفقة تلميذه الشاعر (نجات چاووش) أطلب إليه توضيحاً لبعض رموز الديوان ومعانيه الغامضة. والله أسأل أن أكون قد وفقت في تقديم ذلك الشاعر والمفكر الإسلامي إلى قراء العربية، والله المستعان.


أولاً
بين يدي الديوان

المبحث الأول

التعريف بقراقوج والخضر

أ – لمحة عن «سزائي قراقوچ» وموقعه في حركة الفكر الإسلامي في تركيا المعاصرة

ولد «سزائي قراقوچ» عام ١٩٣٣ في مدينة «أرغني» بديار بكر، لعائلة ذات أصول عريقة، مشهورة بالتدين وتقلد المناصب الرفيعة في الحياة العسكرية، فأبوه «يس أفندي» - الذي وقع أسيرا في يد الروس أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم خرج بعد ذلك ليكابد مشقة العيش - كان مشغوفا بالتراث والأدب القديم [1]. وقد ولد ذلك لدى الابن في سنوات صباه ميلا إلى الأدب الإسلامي التركي القديم، وهو أدب مفعم بمواجيد الصوفية ورموزهم. فقرأ شعر أقطاب المتصوفة مثل «جلال الدين الرومي» و«يونس امره» و«الشيخ غالب» و«نسيمي»، وغيرهم من متصوفة الفرس والعرب، وبخاصة «حافظ الشيرازي» و«الحلاج» و«ابن عربي». ومن ثم ارتوت روحه منذ سنوات التكوين والوعي من معين التراث الإسلامي.

ثم أتاحت له دراسته بكلية العلوم السياسية بجامعة أنقرة، وتخرجه فيها عام ١٩٥٤، أن يتصل باتجاهات الفكر الغربي المعاصر، وأن يعايش قضايا عصره، وأزمات وطنه وأمته الإسلامية في دائرة المتغيرات العالمية.

والذي لا شك فيه أن «قراقوچ» نشأ في ظل ازدواجية حضارية تعم العالم الإسلامي، فمنذ نهاية القرن التاسع عشر والعالم الإسلامي ساحة صراع بين اتجاه علماني تغريبي يتحمس له الحكام، ونخبة من المثقفين، واتجاه آخر يستكن في أفئدة الناس. «ومن يتتبع حركة الفكر في تركيا - على سبيل المثال - يجد تيارا

تغريبيا قويا يعتمد على النقل عن الغرب في الفكر والفلسفة والأدب، وأنماط السلوك والحياة، وتيارا آخر يعتمد على الكتابات الدينية العاطفية التي تتميز بالحماس والغيرة » [٢].

غير أن تركيا قد تميزت بين الشعوب الإسلامية بحدة التوجه نحو الغرب؛ بحكم التزامها الصارم بالكمالية، بعد الربع الأول من هذا القرن. فلم تشهد دولة إسلامية تغييرا جبريا طفريا في الحياة السياسية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية مثلما شهدته تركيا منذ تولي «أتاتورك» الحكم بها. وقد ظلت تركيا وفية لذلك التوجه حتى اليوم، رغم ما جره عليها من مسخ حضاري. «ومن ينظر الآن إلى تركيا المعاصرة يراها تقف وحدها بغير هوية واضحة، فهي ليست إسلامية أو مسيحية، وليست رأسمالية أو شيوعية، وليست آسيوية أو أوروبية. وعلى الرغم من صلاتها بالعالم الإسلامي، فإنها ترفض الانتماء إليه، في الوقت الذي ترفضها الدول الأوروبية كدولة أوربية بينها، وقد كانت هناك معارضة لانضمامها إلى حلف الأطلنطي» [٣]، وليس بخافٍ أن قبولها بالحلف، تم بقصد الاستفادة من موقعها الاستراتيجي في إقامة قواعد عسكرية على حدود الاتحاد السوفيتي سابقا، والعالم العربي.

لقد وجد «قراقوچ» نفسه يعيش في مجتمع فرض عليه أن يتبرأ من تاريخه الإسلامي، تحاصره هرطقة الناعقين الذين ينادون بإسقاط سبعة قرون من تاريخ تركيا، تلك التي تولت فيها الدولة العثمانية قيادة العالم الإسلامي، زاعمين أن انتماء تركيا للعالم الإسلامي عقيدة وأيديولوجية، هو السبب الرئيسي لتخلفها، وأنه من الضروري لها أن تتخلص من كل ما هو إسلامي؛ لكي يتحقق لها التقدم والرقي[٤]. وانطلاقا من ذلك الزعم، كانت الدعوة إلى إحياء أديان الأتراك قبل الإسلام، وإلغاء الخلافة الإسلامية، وحل الطرق الصوفية وفرض السفور والقبعة بالقوة، وتحريم إطلاق اللحية، ولبس الزي الإسلامي لعلماء الدين، وتحويل بعض المساجد إلى متاحف، وإلغاء التعليم الديني. كما نجم عن تغيير

حروف الكتابة من الشكل العربي إلى اللاتيني تأثير ثقافي خطير تسبب في عزل الأجيال التي نشأت في ظل الجمهورية، عن ميراثها الحضاري التليد، حتى أصبح التركي يقف أمام تراثه مثل سائح غريب لا يعرف لغة البلد الذي حل به.[٥]

ولعل من سخرية القدر، أن أضحى الانتماء إلى الإسلام ذنباً يحاسب عليه القانون في بلد ظل قلعة الإسلام، وحصنه المنيع لقرون طويلة. وإنه لمن الطبيعي أن يحدث ذلك صدمة عنيفة للشعب التركي في صميم كيانه الحضاري، انعكست آثارها في شكل ثورات مضادة للوضع الجديد.

ومن بين الثورات الدينية التي عايشها «قراقوچ» ثورة الشيخ «بديع الزمان سعيد النورسي» في ديار بكر، فقد تربى على مائدة رسائل النور التي ألفها الشيخ، وانتشرت في أرجاء تركيا؛ لتدك معاقل العلمانية، وتدعو إلى العودة إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ . وقد ضرب الشيخ أروع الأمثلة للمجاهدين في الصبر على البلاء، وقوة العقيدة، فقد سيق في المدة من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ إلى سبع وأربعين محاكمة، وحكم عليه بالسجن، والنفي مرات عديدة، وكان يقف أمام هيئة المحكمة شامخا مستهينا بالموت، يقول للقضاة «لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في جسدي من شعر، وفصل كل يوم واحد منها فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر.[٦]» وقد ظل الشيخ يقود حركة الجهاد الإسلامي ضد العلمانية في تركيا، حتى وفاته عام ١٩٦٠، مخلفا وراءه مائة وثلاثين رسالة من رسائل النور، ومالا يحصى من الأتباع.

وتاريخ حركة الجهاد الإسلامي في تركيا المعاصرة حافل بكثير من الصفحات المشرقة، لكثير من المجاهدين الذين قادوا ثورات مضادة للعلمانية. وقد أفرد الشاعر والمفكر التركي «نجيب فاضل» كتابا لذلك الموضوع بعنوان «شهداء الدين في العصر الحديث»، وذكر من بين المجاهدين «الشيخ سعيد» الذي ثار في «أرغنى» مسقط رأس «قراقوچ» في عام ١٩٢٥ بعد إعلان الجمهورية بستة عشر شهرا ورفض القانون المدني، وقانون التغيير للزي الإسلامي، وقانون تغيير الحروف،

وتبعه في ذلك خلق كثير في أنحاء ديار بكر، حتى قبض عليه وأعدم شنقا [٧]. وذكر أيضا الشيخ «سليمان أفندي» صاحب الطريقة السليمانية، وهو شيخ من شيوخ المتصوفة، كان ينتسب إلى الطريقة النقشبندية، حارب الكمالية، ودعا إلى إلغاء العلمانية، وتأسيس حكومة إسلامية، وإحياء الخلافة. كما شن هجوما كبيرا على مدارس الأئمة والخطباء، وكلية الإلهيات التي افتتحت في عهد «عدنان مندريس»، واعتبر ذلك مظهرا من مظاهر النفاق والخداع للشعب التركي المسلم، وقام بإنشاء مكاتب لتحفيظ القرآن الكريم، وعلوم الدين. وقد قدم الشيخ لمحاكمات عديدة، بتهم متناقضة مضحكة، منها أنه على علاقة بالماسونية، وأنه يتلقى أموالا من أمريكا وانجلترا وروسيا، وأنه صاحب طريقة مارقة على غرار القاديانية في الهند، وظل الشيخ محاصرا حتى وفاته عام ١٩٥٩م [٨].

ومن المجاهدين الذين فروا بدينهم من العثمانية في تركيا، الشيخ «مصطفى صبري» آخر شيخ للإسلام في الدولة العثمانية، لم يستطع الشيخ البقاء في تركيا بعدما تنكرت للتشريع الإسلامي، وألغت الخلافة الإسلامية، فنزح إلى مصر يجاهد فيها بالكلمة، ويميط اللثام عن حقيقة أتاتورك وعدائه للإسلام. وقد خاض في مصر حربا فكرية ضارية مع كثير من المتعصبين لأتاتورك، وصنف كتباً قيمة لتبصير المسلمين بحقيقة ما حدث في تركيا. منها كتاب «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»، وقد عاش الشيخ في مصر حياة الزهاد، حتى توفى بها عام ١٩٥٤ [٩].

كما شهدت الحياة الأدبية في تركيا جهاد شاعر إسلامي كبير، يدعى «محمد عاكف» الذي فر بدينه من تركيا، ونزح إلى مصر، وأقام بمدينة حلوان، وداوم التخلف إلى مجلس الشيخ «محمد عبده»، وتأثر باجتهاداته، وتفسيره للقرآن الكريم. وقد انعكس ذلك التوجه الديني في شعره، فجعله وسيلة لمحاربة العلمانية، ومنارة للدعوة إلى الإسلام شرعة ومنهاجا. ومما يثير العجب أن باحثا تركيا يعتبر الشيخ «مصطفى صبري»، و«محمد عاكف» من الخائنين

للقومية التركية، ويعتبرهما أسوأ مثل للمثقف التركي [١٠].

ولقد عايش «قراقوچ» جهاد الشاعر الإسلامي «نجيب فاضل» الذي حمل لواء الاتجاه الإسلامي في الأدب التركي الحديث بعد «محمد عاكف»، وقد أوقف كل كتاباته الأدبية والفكرية للدعوة إلى الإسلام، وكانت قصائده تشعل فتيل الثورة في نفوس الشباب التركي المتدين، وتهز قواعد العلمانية هزاً عنيفاً. وقد تعرض بسبب ذلك للاضطهاد، وسيق إلى المحاكمة أكثر من مرة، ورغم ذلك ظل رافعاً راية الجهاد حتى وفاته ١٩٨٣م.

فلم تكن ساحة الجهاد خالية أمام «قراقوچ» بل كانت زاخرة بكثير من المجاهدين الذين أثروا فيه بشكل أو بآخر. ويبدو أنه كان يتمتع بنزعة عقلية فيها أناة وتدبر منذ البداية، وهذا ما أتاح له أن يدخل ساحة الجهاد الديني بطريقة منحته تميزا عن سابقيه، وجعلت كتاباته تسد فراغا حقيقيا في مجال الدعوة الإسلامية في تركيا. ففي الوقت الذي كان الكماليون والشيوعيون يمكنون فيه لمذاهبهم في الفكر والسياسة والاقتصاد والأدب والإعلام، فيما يشبه غسيل المخ للشعب التركي المسلم، كانت كتابات الإسلاميين - قبل «قراقوچ» - تدخل على الشعب التركي من جانب عاطفته الدينية فقط، وتترك عقله فريسة لدعاوى التغريب والانحلال. ولهذا صرف «قراقوچ» عنايته للاهتمام بالجانب العقلي، والتاريخي، والحضاري الإسلامي في مواجهة سيل العلمانية الجارف. فبدأ بإصدار صحيفة إسلامية على نفقته الخاصة لتسد فراغا هائلا في الإعلام الديني، وجعلها منبرا للدعوة الدينية، ومعالجة قضايا الواقع من منظور إسلامي، وجعل فيها بابا ثابتا للتراث، اهتم فيه بالتاريخ الإسلامي بعامة وتاريخ العثمانيين بخاصة، وقدم ترجمات لعيون الشعر الإسلامي في العربية والفارسية.

كما أوقف كل دراساته الفكرية وإبداعاته الأدبية - ما بين شعر وقصة ومسرح - لمناقشة أزمة الحاضر الإسلامي، من خلال ثلاثة محاور رئيسية، وهي:

أ - تحديد نقاط الضعف في حاضر المسلمين، وهي في نظره متمثلة في

التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية للغرب، وانقطاع ما بين حاضر المسلمين وماضيهم، لوجود حاجز نفسي وثقافي يحول بينهم وبين الماضي، وازدواجية الحياة في المجتمعات الإسلامية بين قول وشكل يوهمان بالتدين، وسلوك وعمل يتنافيان مع الدين، هذا فضلا عن التدابر والقبلية وضياع الوحدة الإسلامية.

ب- التركيز على عوامل القوة والمنعة في التاريخ والحضارة الإسلامية، باعتبار ذلك حجر الأساس الذي يقوم عليه إعادة البناء الصحيح لحاضر المسلمين. فلابد من تأكيد الهوية الإسلامية، ومحاربة كل أسباب تميعها وتفسخها.

ج - بث روح التفاؤل ومحاربة الاستسلام والانهزامية لدى المسلمين ومحاولة منحهم الثقة بأنفسهم، وحضارتهم، واستنفارهم للعمل من أجل إنقاذ أمتهم والإنسانية كلها.

ويتميز «قراقوچ» بوفرة كتاباته ما بين دراسات وأبحاث وشعر ومسرح وقصة ومقال وترجمة، ومن دراساته الفكرية :

١ - الإسلام.

٢- الإحياء الإسلامي.

٣- الفردوس المفقود.

٤- بشارة جيل الإحياء.

٥- النظام الاقتصادي في المجتمع الإسلامي.

٦- العصر والإلهام «ثلاثة أجزاء».

٧- في المقام.

ومن أبحاثه:

١ - محمد عاكف. وهو شاعر الإسلام في تركيا الحديثة الذي سبق ذكره.

٢- يونس امره. وهو شاعر تركي متصوف يعتبره الأتراك أعظم شاعر في العثمانية.

ومن مقالاته اليومية التي جمعها في كتب :

١ - الفروق.

٢- العمود «جزآن».

٣- السور.

ومن دواوينه الشعرية :

١ - أربعون ساعة مع الخضر.

٢- كتاب طه، بشارة الوردة.

٣- الخليج - الأصوات.

٤- كلمات إلى الزمان.

٥- الينابيع.

٦- ليلى والمجنون.

٧- رقصة النار.

٨- ساعة القدر.

ومن ترجماته الشعرية :

١- من روائع الشعر الإسلامي.

٢- من الشعر الغربي.

وله فضلا عن ذلك مجموعتان قصصيتان ومسرحيتان.

ولا يعد من المبالغة أن نقول إن «قراقوچ» نذر نفسه فعلا للجهاد في سبيل الدعوة الإسلامية؛ لدرجة جعلته يهمل حظ نفسه في الدنيا. فصدف عن الزواج رغم حاجته إليه، وأنفق كل ماله على الدعوة، وعاش معيشة الزهاد. وهو يعد الآن بعد رحيل «نجيب فاضل» أكبر شاعر ومفكر إسلامي في تركيا، وقد وفق في تأسيس حزب إسلامي في تركيا، أسماه «حزب الإحياء».

ب – قصة الخضر بين الأصل الديني والتراث التركي

١- مجمل القصة كما وردت في القرآن الكريم

حفل القرآن الكريم بكثير من أنباء الرسل والأمم السابقة، وقد ورد ذلك كله في شكل قصصي معجز في لغته وأسلوبه، وتناوله للأحداث. فالقمة القرآنية عنصر ذو خطر في كتاب الله العظيم، وقد أدت فيه أكثر من رسالة، وحققت أكثر من غاية، أدت رسالة العظة والتوحيد والإرشاد، وهي رسالة كتاب الله الأولى، كما أدت وظيفة التلقين والتعليم باعتبارها نافذة يطل منها على تاريخ أنبياء الله ورسله، وما كان من أقوامهم، وما كانت عليه دولهم وحضارتهم [١١].

وقد وردت قصة موسى ﷺ مع العبد الصالح المعروف بالخضر في سورة الكهف في ثلاث وعشرين آية، من الآية (٦٠) حتى الآية (٨٢). ولا تمدنا الآيات الكريمة بالأسباب التي دعت موسى ﷺ إلى خوض تلك الرحلة المثيرة بل تبدأ بحوار بينه وبين فتاه وهو يوشع بن نون ابن أخت موسى ﷺ، كما تذهب إلى ذلك أغلب الروايات، ويظهر من البداية إصرار موسى ﷺ على مواصلة الرحلة حتى «مجمع البحرين»، وهو في رأيٍ، عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس، وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق [١٢]. ويذهب مفسر معاصر إلى أن مجمع البحرين هو المكان الذي يقع بين البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط في مكان قناة السويس، مستندا في ذلك إلى أن موسى ﷺ لم يغادر مصر إلا إلى فلسطين والشام، ولا طريق يوصل بين مصر وفلسطين إلا هذا المكان.[١٣] فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، عمدا إلى صخرة ليستريحا من عناء السفر، ثم انطلقا وقد نسيا حوتا كان معهما لطعامهما، فلما أحس موسى ﷺ الجوع، طلب إلى فتاه أن يحضر الحوت ليتناولا غداءهما منه، فتذكر الفتى أنه نسي الحوت عند

الصخرة، وعادا إلى الصخرة، فوجدا الحوت قد دبت فيه الروح، واتخذ سبيله في البحر عجبا، فأدرك موسى عليه السلام أن المكان الذي وقعت فيه هذه المعجزة، هو المكان الذي يطلبه ويريده.

ويذكر أكثر المفسرين في بيان سبب قيام موسى عليه السلام بتلك الرحلة، حديثا شريفا عن رسول الله ﷺ ، فيما معناه، أن موسى عليه السلام خطب يوما في بني إسرائيل، فقيل له : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه أن له عبدا صالحا أعلم منه، فقال يارب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكتل، ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت، فسوف يجد العبد الصالح في ذلك الموضع، ففعل ذلك حتى التقاه [١٤].

ولا تذكر الآيات المباركة اسما لذلك العبد، وهناك روايات كثيرة حول اسمه وزمانه ونبوته، أو ولايته فمن ناحية اسمه تذكر دائرة المعارف الإسلامية التركية، نقلا عن «مروج الذهب للمسعودي»، أن اسمه «بليا» أو «إيليا بن ملكان»[١٥] أما الخضر فلقب له؛ لأن موسى عليه السلام وجده مسجي في ثوب أخضر أو جالسا فوق سجادة خضراء، أو لأن الأرض التي يمشي عليها تصبح مخضرة[١٦]. أما عن زمانه فيذكر «ابن حجر العسقلاني» في «الإصابة» أنه كان معاصرا للإسكندر، وأنه عاش حتى زمن موسى عليه السلام. ويذكر الطبري أنه كان معاصرا لإبراهيم عليه السلام وخرج معه من بابل[١٧]. وأيا كان الخلاف حول ذلك فالمؤكد أنه عاش في عهد موسى عليه السلام، بدليل ما ورد في القرآن الكريم، مؤكدا ذلك. هذا ومن العلماء من يستدل على نبوة الخضر بقوله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[١٨]. ومنهم من ذهب إلى أنه ولي من أولياء الله؛ لأنه لم يذكر في عداد أنبياء الله ورسله الذين ذكروا في القرآن الكريم، ويفسرون ما جاء به من خوارق على أنه من ملكات الروح القدسي النبوي الذي يختص به الأنبياء وبعض الأولياء، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السماوات والأرض، بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها الروح

العقلي والفكري [١٩].

ثم تمضي الآيات فتذكر ما حدث بعد لقاء موسى عليه السلام والعبد الصالح، حيث طلب إليه موسى أن يتبعه على أن يعلمه من علمه اللدني الذي لا يحيط هو به، فإن صح أن ذلك العبد الصالح نبي، فهو النبي الثاني الذي تتلمذ له موسى عليه السلام بعد «شعيب» عليه السلام ، وإن صح أنه ولى من المخلصين - كما يذهب فريق من العلماء - لأصبح الحدث نادرة من النوادر، ودرسا قيما للتواضع في طلب العلم.

ولعل الدرس كله كان امتحانا صعبا في الصبر لموسى عليه السلام، الذي عرف بسرعة استجابته للمثيرات، وهذا ما أفضى به إلى القتل، وتكسير ألواح التوراة التي حوت كلام الله، وإهانته لأخيه ووزيره أمام الناس، فأنى له الصبر على مذلة طلب العلم من أستاذ يصرفه عنه، ويشعره بالعجز ؟! ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾[٢٠]. فالعلاقة بينهما علاقة تابع ومتبوع، وتلميذ وأستاذ، مشروطة بالتزام الصمت، وعدم التساؤل والاستفسار، ولعل موسى عليه السلام كان يعرف مغزى الدرس فقدم المشيئة تحرزا لما يمكن أن يقع منه عفوا بحكم الطبع.

ويبدأ الدرس حيث انطلقا يمشيان على سيف البحر فمرت بهما سفينة ركبا فيها، فأحدث العبد الصالح فيها خرقا، فاستنكر موسى ذلك، ولم يستطع الصمت، واتهمه بالسعي لإغراق السفينة بمن فيها، فلفت العبد الصالح نظره إلى أنه أخل بالشرط، فاعتذر موسى عليه السلام؛ متعللا بالنسيان، ثم انطلقا فلقيا غلاما صغيرا، فقتله العبد الصالح من غير ذنب ولا جريرة، فصاح فيه موسى عليه السلام مستنكرا ذلك الإثم الشنيع، فزجره العبد الصالح لإخلاله للمرة الثانية بالشرط، ولم يجد موسى عليه السلام مخرجا من ذلك الحرج إلا أن يقطع على نفسه عهدا بأن تكون

هذه آخر مرة يسأل فيها فإن عاد لما نهى عنه، كان للعبد الصالح الحق في إنهاء الدرس. فقد أعذره بما فيه الكفاية، ثم دخلا بعد ذلك قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، وبينما هما يجوسان خلالها، وجدا فيها جدارا يريد أن ينقض، فأقامه العبد الصالح بغير أجرة فأنكر موسى عليه السلام ذلك المعروف لقوم بخلاء، عندئذ أعلن العبد الصالح لموسى أنه لم يوفق في امتحان الصبر، وقبل أن يفارقه أخبره بتأويل ما لم يستطع عليه صبرا، قائلا: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ (٢١).

ذلك هو إجمال القصة كما وردت في القرآن الكريم، ويمكن أن نستنتج منها ما يلي:

١- لم يذكر القرآن الكريم اسما لذلك العبد الذي تتلمذ له موسى عليه السلام.

٢- لم يحدد بالقطع هل كان نبيا أم وليا.

٣- لم يحدد بالقطع أيضا زمان اللقاء ومكانه.

٤- أن الله تعالى كشف لذلك العبد من أسرار الكون ما لم يكشفه لكليمه موسى عليه السلام.

٥- لم يستطع موسى عليه السلام - رغم نبوته - الصبر على ما لم يحط به علما.

٦- أن عباد الله الذين يكشف لهم شيئا من علمه وأسرار كونه، قد يأتون من الأفعال ما يوحي ظاهرها بالبغي والشر لكنها في الحقيقة صادرة عن رحمة بالغة وخير مطلق.

٢- اختلاط قصة الخضر بالأسطورة في التراث الديني :

عادة ما تتميز القصة القرآنية بالإجمال والإيجاز الشديد؛ وذلك ما يغري المتأملين في القرآن من أهل النظر والاجتهاد، بمحاولة تفصيل ما أجمله القرآن بالرجوع إلى كتب الأقدمين، باحثين فيها عن أخبار الأمم السابقة. ويخرجون من ذلك باجتهادات تتفق أحيانا وتختلف حينا آخر، وليس في ذلك من بأس فلهم أن يقولوا إن اسم العبد الصالح هو «بليا بن ملكان» أو «إيليا بن ملكان» وأن لقبه هو الخضر. وأنه عاش في عهد الإسكندر أو في عهد إبراهيم ﵇. وأن مجمع البحرين عند طنجة أو ببلاد الأندلس، أو في موضع قناة السويس، وأن اسم القرية التي استطعما أهلها هو إنطاكية أو غيرها.

لكن قصة الخضر حملت في التراث الديني من الإضافات والتأويلات ما ابتعد بها عن أصلها القرآني حتى بلغت حد الأسطورة. ومن أشهر تلك الإضافات الأسطورية التي أدخلت على القصة ما يتعلق بإضفاء صفة الخلود على الخضر، حيث شاع أن الخضر خرج مع الإسكندر في رحلة للبحث عن ماء الحياة، وخاضا معا في بحر الظلمات، حتى استطاع الخضر أن يستدل عليه وحده، وشرب منه، فوجده أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، فكتب له الخلود بعد ذلك، ورجع الإسكندر دون أن يبلغه.

ومن يطالع كتابات المتصوفة في العربية والفارسية والتركية، يقع على تلك المقولة براويات مختلفة في تفاصيلها متفقة في مغزاها. والملامح العامة لشخصية الخضر في التراث الديني هي ملامح البطل الأسطوري، فهو «نقيب لكل الأولياء» من ينادي اسمه ثلاث مرات وهو في كربه، يأتيه الغوث والمدد، والسماء والأرض تحت أمره فهو خليفة الله في البحر، ووكيله على الأرض وهو يحلق في السماء، كما أنه يلقى «إلياس» ﵇ فوق سد الإسكندر، ويحجان معا إلى مكة في كل وقت، ويشربان الماء كل يوم جمعة من بئر زمزم وحوض

سليمان، وهو يسمع خرير الماء تحت الأرض، ويعرف كل اللغات.[٢٢]

ويؤكد المتصوفة أنه حي، ويروى بعضهم أنه قابله وكلمه، فهذا «ابن عربي» يذكر أنه قابله مرتين؛ إحداهما بسوق الحنة بأشبيلية، والثانية في مركب بالبحر.[٢٣] كما أورد «السهر وردي» في «آداب المريدين» ما نصه: «وحكى عن بعضهم قال: رأيت الخضر ﷺ فقلت: ما تقول في السماع الذي عليه أصحابنا ؟ فقال: هو الصفاء الذي لا يثبت عليه إلا إقدام العلماء»[٢٤].

ولدى الترك متصوف يدعى «أحمد يسوى» وهو شيخ طريقة تسمى «اليسوية»، نسبة إليه، يقال إنه كان يتلقى فيوضاته عن الخضر. [٢٥] ويطلق أتباع اليسوية على الذكر مصطلح «ذكراره» ومعناه الحرفي «ذكر المنشار»، ويروون في ذلك قصة مفادها أن الخضر في لقاء له مع الشيخ «أحمد يسوى» رآه حزينا مقبوضا، فسأله عن سبب ذلك، فأخبره الشيخ أن مرد ذلك إلى عجزه عن محو ما في قلوب أصحابه من قسوة، حينئذ بدأ الخضر في ذكر الله قائلا «آه.. آه» بصوت مثل صوت المنشار، إشارة منه إلى أن علاج ذلك في ذكر الله بهذه الطريقة [٢٦].

إن الخلود أمنية عزيزة للإنسان من عهد آدم عليه السلام، ولقد دخل إليه الشيطان من ذلك المدخل. ليزين له الأكل من الشجرة المحرمة، كما جاء في القرآن الكريم {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ}[٢٧] فالظاهر أن أمنية الخلود، أنست آدم عليه السلام أمر ربه فأكل من الشجرة المحرمة طمعا في الخلود. والمستخلص من عمائر الأقدمين وأساطيرهم، أن الخلود ظل حلما يراود خيال البشر عبر العصور والأزمان. وقد عالجت آداب كثير من الأمم السابقة، قضية الخلود، فنجدها متغلغلة في مآثر اليونانيين الأدبية، ونجد في آداب البابليين ملحمة جلجامش، ونجد في الأدب العربي قصصا عن أخبار المعمرين، وأخبار الكثير من الأبطال الذين ركبوا الأخطار والمغامرات لنيل الخلود والبقاء، كقصة لقمان الحكيم الذي عاش أعمار سبعة نسور كان آخرها «لبد» الذي انتهت حياة لقمان بموته، وتبع الأوسط، وشمر يرعش، وقيس بن زهير.[٢٨]

وليس ببعيد أن تكون قصة الخضر في التراث الديني، قد تأثرت في بعض جوانبها بملحمة «جلجامش» المشهورة بالأدب البابلي، فهي تدور حول سعي الإنسان لاكتساب الخلود، والفكاك من قبضة الموت. فبطل الملحمة «جلجامش» يخرج مع صاحبه «انكيدو» في سفر طويل إلى غابة الأرز المسحورة التي يحرسها العفريت «خمبابا» من أجل أن يسجل اسمه في مصاف الآلهة والخالدين. وخاضا معا في سبيل ذلك أهوالا عجيبة، وقتلا معا الثور السماوي الذي سلطته «عشتار» على جلجامش لتقضي عليه. لكن انكيدو يموت أمام عيني جلجامش، دون أن يدفع عنه غائلة الموت، وأبقاه بغير دفن حتى تحلل جسده وعبث به الدود. فكان ذلك الخطب أكبر حافز له على مواصلة البحث عن الخلود؛ حتى لا يدركه نفس المصير، فعبر جبالا يلفها الظلام الدامس، وهبت عليه الريح العاصف، وخاض بحرا لجيا حتى وصل إلى «اوتو نبشتم» فدله على عشب في قاع البحر، لكنه في طريق عودته، نزل يستحم، ووقع العشب على الشاطئ فأكلته الأفعى، ورجع من رحلته بخفي حنين دون أن يدرك الخلود.[٢٩]

ومن يتأمل قصة الخضر في التراث الديني يجد مشابهة في بعض جوانبها مع ملحمة جلجامش، فالخضر خرج بحثا عن ماء الخلود مع صديقه الإسكندر، وخاض أهوالا جسيمة قبل الوصول إليه، مثلما فعل جلجامش مع صديقه انكيدو. لكن الغريب في الأمر، أن أساطير الخلود وملاحمه القديمة لم تذهب إلى إضفاء صفة الخلود على البشر، وجعلته من نصيب الآلهة فقط، في الحين الذي أضفى فيه المسلمون الموحدون على الخضر، وهو عبد من عباد الله، صفة الحياة الأبدية، وهي من الصفات التي لا يتصف بها غير الله عز وجل.

٣- لمحة عن الخضر في الفلكلور والأدب التركي :

تمدنا دائرة المعارف الإسلامية التركية بمادة غنية عن الخضر عند الأتراك،

وتخبرنا بأن ثمة تفاعلا، قد حدث بين الروايات المتعلقة بالخضر في الفلكلور التركي، وبين الروايات الموجودة في المصادر الدينية. والشائع بين الأتراك أن الخضر نبي من أنبياء الله، وأنه موكل بتفريج الكرب، وقضاء حوائج المحتاجين من أهل العسر والضيق وهداية التائهين والضالين. ويعتقدون أن هناك بحيرة تسمى بحيرة ماء الخلود، من يشرب منها لا يموت، ومن كان ميتا ويغسل في مائها تنفخ فيه الروح من جديد. وقد أورد الرحالة التركي «أولياجلبي» في «سياحتنامه» قصة مفادها أن صيادا صاد طائرا، وذبحه وذهب إلى بحيرة ينظفه فيها فلما وضعه في البحيرة نفخت فيه الروح، وطار محلقا، فأدرك أن هذه هي بحيرة ماء الخلود، ورجع إلى قومه يخبرهم بما وقع له، فأمر الله أن يمزق ألف قطعة، قبل رجوعه إلى قومه، وأن تتحول البحيرة إلى ألف بحيرة؛ حتى لا يستطيع أحد أن يهتدي إلى مكانها. كما يذكر «اوليا جلبي» أن هناك بحيرتين، إحداهما تسمى بحيرة الخضر، والثانية هي بحيرة إلياس، وأن إحداهما إن اغتسلت بها امرأة حبلى جاءت ولادتها يسيرة، والثانية إن اغتسل بها رجل عديم الفحولة أو امرأة عاقر أنجبا وكثرت ذريتهما، وقد ورد في ملحمة «كوراوغلو» ما يؤيد خبر الألف بحيرة الذي ذكره «اوليا جلبي».[٣٠]

ويعتقد الأتراك أن الخضر يأتي كل ليلة قدر تحت قنديل جامع «أياصوفيا»، وأن بالجامع سارية يسمونها «السارية المعروقة» ينظرون من خلال ثقب بها، معتقدين أن ذلك يشفي أمراض العيون؛ لزعمهم أن ذلك الثقب هو الذي مد الخضر إصبعه من خلاله ليحول معبد الكنيسة القديمة نحو القبلة. كما تقدم عنعناتهم الشعبية أيضاً وصفاً ليد الخضر، فيصفونها بأنها بيضاء ناعمة من غير عظم، ويقسمون الطبيعة بين الخضر وإلياس، ومنهم من يتصور الخضر موكلا بالبحر، وإلياس موكلا بالبر أو عكس ذلك[٣١] ويطلقون على السادس من مايو كل عام يوم «خضر اللز Hizrellez» ويعتبرونه مناسبة دينية؛ لزعمهم أن الخضر وإلياس يطوفان العالم في ذلك اليوم؛ ليحققا رغبات كل ذوي الحاجات.[٣٢]

وهناك أماكن كثيرة في تركيا تحمل اسم «خضر إلياس» منها مسجد «خضر إلياس» في آماسيا، ومقام «خضر إلياس» في صاقز، وغيرها كثير.[٣٣] هذا بخلاف حكايات أخرى كثيرة، لا نرى داعيا للإفاضة فيها في هذا المقام.

وللخضر في الشعر التركي العثماني حضور كبير، حيث يتخذه أغلب الشعراء العثمانيين رمزا للعاشق الذي ارتوى من ماء العشق الإلهي، فأدرك الخلود. ومن الأمثلة التي تعبر عن ذلك المعنى، **قول «يونس امره» داعيا إلى** الشرب من ماء العشق، مثلما ارتوى الخضر وإلياس من ماء الحياة :

كن مثل الخضر وإلياس فقط
اللذين شربا من ماء الحياة [٣٤]

كما يدعو «إبراهيم حقي» إلى التخلص من سجن الجسد، وتطهير القلب من الكدر والتدلة في العشق الإلهي والارتواء من مائه:

إنك في ظلمة الجسم فعليك بسفر القلب الجميل
فامح جسمك واشرب من ماء الحياة الخالد [٣٥]

والكوثر عنده موت وعدم إذا قيس بماء الحياة الذي يرمز به للعشق الإلهي:

اشرب ماء الحياة فالكوثر بالنسبة له موت [٣٦]

وهذا شاعر آخر يدعى «نيازى المصري» يؤول قصة موسى مع الخضر تأويلا صوفيا، فيجعل السفينة والغلام والجدار رمزا لمتاع الدنيا الزائل الذي يجب على العاشق الإلهي، أن ينخلع منه ويقبل على العشق كما ينجذب الفراش نحو النور:

كن مثل موسى مع الخضر واخرق السفينة
واهدم الجدار القديم، واقتل الغلام
فلو كانت السفينة غير معيبة لاغتصبتها النفس الأمارة

والجدار الجديد فتنة وينبغي أن يكون ظلا باليا
ولو لم يقتل الخضر الغلام لكان مفسدا
فليكن بلبل ذلك الروض لنار العشق فراشا (٣٧)

كما شبه بعض الشعراء العثمانيين ممدوحيهم بالخضر في إغاثتهم للملهوفين، وهدايتهم للضالين، وشبهوا عطاياهم بماء الحياة الذي يرد روح المحتاج. ومن أمثلة ذلك ما قاله «فضولي البغدادي» في قصيدة مدح بها «إياس باشا» والي بغداد (٣٨)

وهذا أحد شعراء البكتاشية يدعى «بير سلطان» يذكر أن لعلي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ألف اسم، أحدها الخضر، ومن يناديه به يجده حاضرا أمامه في كل زمان ومكان:

له ألف اسم واسم، أحدها الخضر
أينما تناديه، تجده حاضرا (٣٩)

وقد جاء في الشعر التركي، أن كل شاعر شعبي، كان يرى في منامه شيخا يسقيه من كأس العشق، ويريه معشوقته الحسناء، التي ينشد فيها شعره، وأن ذلك الشيخ هو الخضر.(٤٠)

٤- قناع الخضر عند «سزائي قراقوج»

لا ينظر الشاعر المعاصر إلى التراث الإنساني عامة وتراثه القومي خاصة على أنه خبرات ومعارف قديمة مبتورة الصلة بالحاضر، بل يسعى إلى توطيد الصلة بين الحاضر والتراث عن طريق استلهام مواقفه الروحية والإنسانية، وإلى خلق نوع من التوازن التاريخي بين الجذور الضاربة في أعماق الماضي والفروع الناهضة على سطح الحاضر، ومن خلال هذه النظرة كان استخراج الشاعر المعاصر للمواقف التي لها صفة الديمومة في هذا التراث. (٤١)

فالتراث - الديني والتاريخي والأسطوري والملحمي والفلكلوري - معين ثر ينتقي الشاعر المعاصر من شخوصه ورموزه وأحداثه ما يتسم منها بالبعد المتجدد الذي لا تحدّه حدود الزمان والمكان، وتتجلى فيه روح الزمان الكلي، ويمثل النموذج الإنساني - عن طريق الرمز والقناع والمعادل الموضوعي - قالبا كليا لكثير من تجارب الشعر المعاصر، تدور من خلاله حركة القصيدة منذ البداية حتى النهاية، ومثل تلك التجارب تكفل لنفسها - أولاً - ما يحمله النموذج التراثي من إيحاءات يتم إسقاطها على العصر وتوفر للعمل الشعري - ثانياً - نوعا من الحركة الدرامية المتصاعدة مع نمو النموذج وتحولاته عبر القصيدة [٤٢].

ويمثل ديوان «أربعون ساعة مع الخضر» لسزائي قراقوچ ظاهرة فريدة في الشعر التركي المعاصر، فهو – من ناحية – الديوان الوحيد الذي يتخذ من شخصية من التراث الديني «قناعا» تسري إيحاءاته في كل قصائده في نسيج متضافر يحمل كل أبعاد شخصية الخضر الدينية والأسطورية في الماضي، وتجربة «سزائي قراقوچ» الروحية والحضارية في الحاضر. كما أنه – من ناحية أخرى – يحمل أسس رؤية إسلامية لأزمة الحاضر الإسلامي المعاصر، تحدد نقاط الضعف والقوة، وتقترح الحلول، وتبشر بإحياء إسلامي مأمول.

فالخضر في ذلك الديوان، قناع لسزائي قراقوچ يعكس تفاعلا بين صوت الخضر وصوت «سزائي قراقوچ»، ويمتزج فيه الماضي بالحاضر والمستقبل، ففي ظل واقع حضاري متهالك مهترئ يلتقط قراقوچ من التراث شخصية الخضر بما لها من أبعاد ودلالات خارقة فذة؛ ليتجاوز من خلاله أزمة الحاضر نحو مستقبل مأمول.

وأحسب أن أهم ما لفت قراقوچ إلى الخضر هو - أولاً - ذلك الدور الإصلاحي الذي لعبه الخضر فهو - إن لم يكن نبيا - ولي له رسالة إصلاحية التزم بها وعاش من أجلها. وقد تجلى ذلك في موقفه المناصر للضعفاء والمساكين، الذين كانوا يملكون سفينة في البحر، فأحدث فيها خرقا ليصيبها فلا يأخذها الملك الظالم، كما ظهر من قتله للغلام مدى حرصه على البر بالوالدين

لأنه أدرك - بوحي أو إلهام من الله - أن الغلام عندما يكبر سيرهق والديه طغيانا وكفرا. وكانت إقامته للجدار دليلا على رعايته لليتامى وحقوقهم، علاوة على أنه يظهر في التراث بصورة هادي الضالين ومغيث المكروبين. ذلك ومثله مما يتفق والتزام قراقوچ برسالة تعنى بأزمة الواقع الإسلامي المعاصر، وتبحث عن حلول لها. ولغته - ثانياً - ذلك المنهج الإصلاحي الحكيم الذي تعامل به الخضر مع واقعه، وهو منهج يتميز بالاستبصار وبعد النظر ونبل الغاية ورعاية مصالح الناس. وكأن قراقوچ أراد من خلاله أن يقدم صورة مثلي لكل مفكر ومصلح إسلامي معاصر يحمل هموم أمته على عاتقه، ويسعى لتحقيق حضور أو إحياء إسلامي فعال في هذا العصر. ومن ثم فإن ماء الحياة عند قراقوچ رمز لمعين الإسلام الخالد الذي يهب الحياة لمن يرتوي منه من البشر كافة، وهذا ما يتضح من قوله :

نحن الخضر..
نعرف منابع ماء الحياة في العالم
تطهرنا صلاتنا كالمشاعل المضيئة
نتلألأ في الصوم مع عيسى ومريم
مزامير داود في مسامعنا
وأصاحيح الإنجيل في ذاكرتنا
وممالك التوراة نصب أعيننا
نمضي أمام فيلق ماء الحياة
كقائد يمتطي صهوة جواد عربي أصيل
نفتح البلاد
ومعنا ألواح طور سيناء
وجيش القرآن. [٤٣]

فالدين عند الله هو الإسلام وكل الأنبياء والمرسلين أرسلوا للدعوة إلى دين الله، فمن يرتوي من الإسلام يكون كالخضر الذي ارتوى من ماء الحياة.

وبرغم أن أغلب قصائد الديوان جاءت على لسان الخضر بضمير المتكلم، بحيث يظن من القراءة الأولى للقصيدة أنها تسجيل لجوانب من سيرة الخضر وتراثه القديم، فإن صوت الشاعر مستتر في صوت الخضر فيما يشبه الاتحاد الصوفي، بحيث تأتي المحصلة النهائية للقصيدة مزيجا من صوت الخضر في الماضي، وصوت الشاعر في الحاضر، ولنضرب لذلك مثلا بالقصيدة الخامسة التي يقول فيها :

أنا الخضر.. في يوم ما.. في ساعة ما.. في موقع ما..
فتشتُ :
كانت الأم بريئة، وماتت..
كان الأب بريئا، وكالتين العطن مفئودا..
وكان الابن بريئا
حتى ابتلى بالصرع
وكان الناس أبرياء
كالورود النضرة..
وكنت أنا الآثم؛..
تأخرتُ !!
فخرج كابوس المنزل المفزع إلى الشرفات
وكان جاري لم يعرف بعد التعبد في البيت..
تأخرت..
لأني اعتكفت مائتي عام بعيدا عن عالم الناس..
التوقيع : الخضر(٤٤)

فواضح أن المتكلم في القصيدة هو الخضر؛ لأنه يعلن عن نفسه صراحة من بدايتها إلى نهايتها، كما تحمل الأسطر الثمانية الأولى، إشارات لواقعة قتله للغلام،

مما يعطي انطباعا بأنه لا يوجد في القصيدة إلا صوت الخضر فقط. لكن من يقرأ القصيدة حتى نهايتها، يسمع صوت قراقوچ ينطق من خلال صوت الخضر معربا عن أسفه لسقطة وقع فيها كمصلح إسلامي، حين ركن إلى العزلة زمنا فاستفحلت الأزمة، وتوطدت أركان الكمالية، وحوصر المتدينون داخل بيوتهم خشية العنت والبطش، فالصوتان ممتزجان امتزاجا يطوى فيه الزمان والمكان.

والملاحظ، أن قراقوچ تعامل مع تراث الخضر الديني، ومع العنعنات والحكايات الشعبية الشائعة عنه دون تفريق، فأفاد من القصة كما جاءت في سورة الكهف، كما يتضح في القصيدة العاشرة والقصيدة الخامسة عشرة. كما أفاد من تراثه الشعبي؛ ففي القصيدة السابعة أورد وصفاً ليد الخضر، وفي القصيدة الثامنة تحدث عن تقسيم الطبيعة بين الخضر وإلياس وإغاثة الخضر للملهوفين، وفي القصيدة التاسعة تحدث عن الأهوال التي خاضها الخضر ليصل إلى ماء الخلود، وفي القصيدة الحادية عشرة تحدث عن يوم «خضر اللز».

المبحث الثاني

ركائز الخطاب الإسلامي عند قراقوج

من خلال ديوان (أربعون ساعة مع الخضر)

تحتوي ساحة الفكر في العالم الإسلامي المعاصر على اجتهادات كثيرة تتناول بالبحث أزمة الحاضر الإسلامي المتخلف، وتقترح لها الحلول، وهي عامة تتسم بالتنوع والتباين، بين ليبرالية و ماركسية وقومية وإسلامية. فأما الليبراليون فلا سبيل لديهم للخروج من الأزمة غير السبيل التي سلكها الغرب المتقدم وهو ما يقتضي قبول النموذج الغربي، مثلا يحتذي، وإن أدى ذلك إلى التضحية بالأصالة أو بجزء كبير منها. أما الماركسيون، فالسبيل عندهم هو إقامة مجتمع شيوعي، كما نظر له ماركس ولينين، ولا يختلفون عن الليبراليين في نظرتهم إلى الأصالة. وأما القوميون فيدعون إلى قيام وحدة قومية على أساس الجنس واللغة، والوحدة القومية عندهم تجب الوحدة الإسلامية وتبطل دورها [٤٥]. وهناك الإسلاميون أو السلفيون [٤٦]، وهم في جملتهم متفقون على أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ويدعون إلى العودة إلى شريعة الله، وتأكيد الهوية الإسلامية في مواجهة الرياح العاتية التي تهب عليها من كل الاتجاهات. لكنهم من حيث المنهج مختلفون، فمنهم راديكاليون يرون أن القوة هي أقصر السبل وأسرعها للتغيير الشامل الذي يصبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية. ومنهم مصلحون يرون أن الإقناع والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وتربية الأجيال تربية إسلامية صحيحة أجدى وأبقى. ومنهم ظاهريون يستمسكون بحرفية النصوص ويغلقون باب الاجتهاد تشبثا بميراث مبتوت الصلة بالحاضر. ومنهم من ينتصرون لعقل ويبالغون في ذلك فيضعونه إزاء النص القرآني. ومنهم من يرفض الحضارة الغربية جملة وتفصيلا،

وآخرون يرون ضرورة الاستفادة من تقنيتها وتقدمها العلمي لتحقيق نهضة مماثلة مع الاحتفاظ بالهيكل القيمي والأخلاق الإسلامية (٤٧). ومن المؤسف حقا أنهم في إطار اختلافهم لا يحترمون اجتهادات بعضهم البعض، بل يتنازعون فيما بينهم، وتدعي كل فرقة أنها على الحق، وما عداها على الباطل. وما دامت وحدتهم مستحيلة أو متعذرة - كما هي الآن- فمن الصعب أن يرتفع للإسلام لواء في الوقت الحاضر ما دام أهله في نزاع وشقاق، أو في طائفية حضارية كما يسميها محمد عمارة (٤٨).

وما دامت هذه هي طبيعة الفكر في العالم الإسلامي المعاصر، فمن الطبيعي أن تحمل تلك الاجتهادات الإسلامية مسميات مختلفة؛ فهي مثلا [التصور الإسلامي] عند سيد قطب (٤٩)، وهي [الخطاب الإسلامي] (٥٠) وهي [الرؤية الإسلامية] (٥١) وهي أيضا [المشروع الإسلامي] (٥٢). وقد آثرت أن أطلق مصطلح [الخطاب] على دعوة الإحياء الإسلامي عند قراقوچ؛ لأنه أقرب إلى معنى الدعوة الذي يستعمله قراقوچ. وهذا المصطلح تاريخيا مقولة من مقولات علم المنطق تعني التعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا مترابطة، بعدها أجيز إطلاقه على العمل البحثي بدء من القرن السابع عشر. ويعرفه بنغنيست بأنه كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب وتفترض نية التأثير على السامع أو القارئ (٥٣).

إن قراقوچ صاحب دعوة يوظف الكلمة بكل أشكالها لتبليغ دعوته، فللأدب عنده رسالة إسلامية تمليها الأزمة الحضارية التي يعيشها المسلمون في هذا العصر، والشاعر والأديب عنده مطالب بعدم الهروب من مواجهة واقع الأزمة إلى الحلم والذاتية المسرفة والغموض والتعتيم الفني، بل عليه أن يعيش الأزمة في أدبه محللا ومفسرا وباحثا عن مخرج (٥٤). وهو لذلك يعد امتدادا للشاعر الباكستاني محمد إقبال، وللشاعرين التركيين محمد عاكف ونجيب فاضل، لكنه يتميز عنهم باهتمامه بطرح ركائز ومحددات شاملة لخطاب إسلامي متكامل.

وسنحاول أن نلقي الضوء على ملامح الخطاب الإسلامي، وقسماته العامة عند قراقوچ من خلال ديوان [أربعون ساعة مع الخضر] الذي يعد أكثر دواوينه تجسيدا لخطابه. ورغم ذلك فهناك بعض النقاط المتعلقة بخطابه لم يولها الاهتمام المناسب في هذا الديوان، وقدمها بشكل أوفى في دواوينه الأخرى. ويمكن تحديد ركائز الخطاب الإسلامي في هذا الديوان في النقاط الآتية :

أولا: مفردات الأزمة الرئيسية

يحدد قراقوچ تحديات الإحياء الإسلامي في النقاط التالية :

أ- انفصال حاضر الأمة عن ماضيها :

ومعناه انقطاع ما بين حاضر المسلمين وماضيهم، واغترابهم عن جذورهم الحضارية، وعجزهم عن تقديم عطاء حضاري إسلامي له صفة الريادة أو الندية في الحضارة المعاصرة مثلما كانوا في الماضي. فقد أضحى حاضر المسلمين مفجعا كأنهم في حال من أحوال التصوف الأسود المتواكل، وقد تأصل فيهم مركب الدونية والنقص فقعدوا ونهض غيرهم، واستسلموا للوهن والتخبط والغيبوبة [٥٥].

ومرد ذلك عنده إلى الانحراف عن منهج الله بنبذه، أو خلطه بوارد من الشرق أو الغرب لا يتفق معه. فعقيدة الإسلام تتسم بالكمال والثبات وليست بحاجة إلى تجديد بالحذف منها أو الإضافة إليها. وأس المشكلة أن المسلمين عندما انحطوا وتخلفوا، تشككوا في أنفسهم، وتصورت النخبة من أهل الحل والعقد فيهم، أن الإسلام هو سبب الانحطاط، فانحرفوا عن منهجه القويم واعتمدوا سياسة التخليط والتلفيق الحضاري من الغرب والشرق، فضيعوا هويتهم حتى بدأ مظهرهم الحضاري كثوب المهرج في تهرئه، وفوضى ألوانه، ويجسد قراقوچ ذلك في أسى فيقول :

في ليلة من ليالي القدر
بدأ قدر المسلمين
الذين ذاقوا عذاب النمل فوق الأرض
يتحول...
فهم أكثر الناس فقرا،
وانسحاقا،
وانهزاما، وعذابا...
صامتون... مجبرون على الصمت...
مجبرون على التغير والتبديل...
هم حمض التاريخ !
تفيض شلالاتهم،
لكنهم محرومون من شربة ماء !
منزوعون، مطروحون خارج الجغرافيا،
وخارج منطق الحصاد...
يذرون الرماد فوق أطفالهم...
مرتابون في الفجر...
ساخرون من النهار...
ركام من الناس محمول
إلى شاطئ مستنقع... (٥٦)

أجل إنها مفارقة غريبة بين ماض الأمة الإسلامية وحاضرها؛ ففي الوقت الذي يحدثنا فيه التاريخ عن رخاء اقتصادي للمسلمين إبان نهضتهم لدرجة تعذر معها وجود مستحق للزكاة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأمر بتوزيع أموال الزكاة على الشباب الذين لم يتزوجوا لتعينهم على نفقات الزواج، نرى أكبر معدل للفقر في العالم المعاصر من نصيب المسلمين. ونسل

الغزاة المجاهدين في سبيل الله، الذين زلزلوا عروش الفرس والروم، وأقوى الممالك في العالم، هم الآن أزلاء تعبث الأمم بحرماتهم ومقدساتهم وديارهم وثرواتهم كأنهم كلأ مباح.

ثم يسوق قراقوچ بعد ذلك بعض مظاهر الانحسار، فيعرض لأزمة الثقافة وما اعتراها من تهافت وتقليد. فتركيا – على سبيل المثال – ذات التاريخ المجيد في خدمة الإسلام، والجهاد في سبيله، تترك الحرف العربي، وتكتب بالحرف اللاتيني تقليدا للغرب، فتفرز جيلا يسميه الشاعر [صبية الحرف المقلوب] (٥٧) بينه وبين تراثه جدار لغوي كبير. فالعقل الإسلامي مفتوح أمام الغزو الغربي بعد أن أصبحت عقول المسلمين لديها القابلية للاستعمار، وهذا أصعب ما في الأمر، كما يشير إلى ذلك قراقوچ :

أخي إبراهيم علمني
كيف أهدم أصنام المرمر ؟
فما مر يوم دون أن أهدم واحدا منها...
لكنكم لم تعلموني كيف أمحو ما في
البيانات والكلمات والأوراق... (٥٨)

فأصنام هذا الزمان ليست أصناما مادية كتلك التي هدمها إبراهيم عليه السلام، بل هي أصنام فكرية، معنوية، تتخذ من عقول المسلمين وقلوبهم قواعد تقوم عليها، « فعزلتهم عن دينهم وحملتهم بعيدا عن أصول العقيدة التي يؤمنون بها فأصبحوا في ازدواجية عاصفة بين شهادة ميلاد تعلن إسلامهم وواقع حياة يؤكد أن صلتهم بالإسلام واهية » (٥٩).

ومن ثم يرى قراقوچ أن اتباع الغرب في ثقافته وألوان حياته تكريس للاغتراب الحضاري في المسلمين :

ما كان ينبغي السفر؛ لأنه مع الغرباء

الذين تلفهم الظلمات
ولأنه سفر إلى الجبال الثلجية،
وأنت اكتويت بنار أشعة الشمس.[٦٠]

إن المسلمين بذلك يستحبون العمى على الهدى، ويشقون على أنفسهم بإرغامها على ما لا يتوافق مع طبيعتها. وهذا ما أسف له الأفغاني أشد الأسف فقال : «وإني لآسف إذ دفن المسلمون بين دفتي [القرآن] الكنوز وطفقوا في فيافي الجهل يفتشون عن الفقر المدقع!. خالفوه في كل أمر، وعملوا عكس ما قال حتى كأنما القرآن أمرهم بالاختلاف وحذرهم من الائتلاف وحثهم على انتقاضهم على أنفسهم وتشتت كلمتهم وألا يعتصموا بحبل الله جميعا...[٦١]

والنتيجة الطبيعية لذلك هي ذلك التناقض الحاد في المجتمعات الإسلامية بين الماضي والحاضر، والعقيدة وتطبيقها، واللغة والواقع، والشكل والجوهر، والقراءة والفهم، وذلك ما يعبر عنه قراقوچ بقوله :

الكتب المقدسة معلقة في كل بيت
ولم أجد من يتلوها،
أو من يفهمها إن تلاها.[٦٢]

فالمسلمون الآن متورطون في شكل زائف لا يعبر عن الجوهر، وفي لغة بعيدة عن الواقع. فالإسلام يعيش في لغة الناس وليس في واقعهم [٦٣]. فالمصاحف الموضوعة في صدر البيوت والمكاتب والعربات مظهر ديني خادع ليس له رصيد في واقع السلوك العملي. فبين المسلمين والقرآن شقة واسعة في الفهم والتطبيق، ولقد يقال إن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن، ومع ذلك، من الأصوب أن نقول إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العلمي في سلوكه اليومي [٦٤].

فهناك انقطاع حقيقي بين المسلمين وإسلامهم في الحكم، والسياسة، والاقتصاد، والتعليم، والتربية، والمعاملات، أعقبه انقطاع آخر في الدور

الحضاري للمسلمين، حيث تبدلوا بعد الحركة سكونا، وبعد الفعل انفعالا، وبعد القيادة تبعية، وبعد الحياة موتا :

ثم جاء حديث الانفصال
فسكت عيسى،
وسكت كل الحواريين،
وسكت مائة وعشرون ألف صحابي،
وسكت الزمان،
وسكت ماء الحياة،
وقدم الماء للصحابة الجرحى،
وانقطع صوت العرش...
وسكتت الكتب الأربعة، ودوت :
«اللهم فاشهد»[٦٥]

ولقد كان ذلك الانحسار الحضاري هو المدخل لكل إفرازات الأزمة التي تولدت فيما بعد

ب- التفتت والتدابر :

إن وحدة المسلمين هي ضمان البقاء لهم أقوياء أعزاء، وتدابرهم هو سبب ضعفهم وهلاكهم. ذلك هو ما قررته الشريعة الإسلامية وأكده التاريخ بأحداثه ودروسه، وفي كل مرة التزم فيها المسلمون برابطة الوحدة الإسلامية كتب لهم الغلب على أعدائهم. ولم ينل أعداؤهم منهم إلا حين انصرافهم عن تلك الرابطة الجامعة وتناحرهم فيما بينهم.

وللأفغاني كلمة بليغة في وصف ما عليه المسلمون الآن من تفتت وتدابر، يقول فيها: «لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال. وانقطع التعارف بينهم، وهجر بعضهم بعضا هجرا

غير جميل. فالعلماء - وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس إليها - لا تواصل بينهم ولا تراسل. فالعالِم التركي في غيبة عن حال العالِم الحجازي، والعالِم الهندي في غفلة عن شئون العالِم الأفغاني، بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم إلا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر. أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم، وكل ينظر إلى نفسه ولا يتجاوزها وكأنه كون برأسه، وهذا أيضا هو حال الملوك والسلاطين. هذا التدابر والتقاطع، وإرسال الحبال على الغوارب عمَّ المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد إلا طفيفا من الإحساس بأن بعض الشعوب على دينهم.. وهذا النوع من الإحساس الداعي إلى الأسف وانقباض الصدر، إذا شعر مسلم بضياع على يد أجنبي عن ملته، لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته. كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية، صحيح المزاج، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون على حدة، وتضمحل هيئة الجسم » (٦٦).

ذلك ما قاله الأفغاني قبل قرن من الزمان متأسفا لما آلت إليه حال المسلمين من تفتت وتدابر، وهو أسف عمقته أحداث ذلك القرن حتى بلغت به حد الفجيعة، حيث نقضت كل خيوط الوحدة الإسلامية الفتيلة والمبرمة :

ذلك الصديق حائر حقا
فالخيوط التي صبغناها معا
نُقض غزلها (٦٧)

فلم تعد علاقة المسلمين الآن قائمة على التدابر وحسب كما قال الأفغاني؛ بل على التقاتل والخيانة والاستعانة بالمسيحي واليهودي على المسلم، وباتت موالاة المسلم للمسيحي واليهودي أظهر من موالاته لأخيه المسلم. وكل مظاهر تجمع المسلمين ووحدتهم في الصلاة أو في الحج هي مظاهر شكلية

ليست لها دلالات روحية عملية. ويعبر قراقوچ عن ذلك المعنى في مفارقة موحية، فيقول :

في مدينة صالحة
كان مسلمان يصليان في المسجد
متلاصقين كالبنيان المرصوص
فمرقتُ من بينهما، وما انتبها !
وكان إمام يلقي الخطبة...
فخلطت كلامه بكلمة واحدة...
نعم، كلمة واحدة...
فارتعد بعض نفر،
وشعر الآخرون بالعطش،
فلما انتهت الصلاة، تزاحموا على الماء...
فجاء الماء متغيرا ممرورا...
وحين رأوا أطفالهم،
انقطعت أصداء النهر الداخلي. [٦٨]

فالظاهر يعطي انطباعا بالتلاحم يصعب النفاذ من خلاله، لكنه انطباع زائف؛ فأية قيمة لتلاصق الأجساد، ما دامت القلوب والأرواح بينها مسافات هائلة.فالمسلمون الآن محرومون من وحدة الكلمة والصف والغاية، منصرفون عن الرسالة التي خلقوا من أجلها إلى حياتهم الدنيا ومتاعها الزائل، فمكنوا بذلك عدوهم منهم، « وتسلط عليهم الغرب الصليبي يمزقهم قطعة قطعة فكانت الأندلس ثم كانت مأساة كشمير، ومأساة فلسطين، ومأساة المسلمين في الاتحاد السوفيتي » [٦٩]، ثم كانت مأساة أفغانستان والعراق والسودان، وسوف تتوالى المآسي ما دام عقد الوحدة منفرطا.

والواقع أن قراقوچ لم يقدر قضية تفتت المسلمين وتدابرهم حق قدرها في

هذا الديوان، واكتفى فقط بالإشارة الدالة، لكنه أعطاها قدرها في دراساته الفكرية، وديوان [كتاب طه].

جـ- الصليبية والصهيونية :

إذا كانت مشكلة [الأنا الإسلامية] قد تحددت في انقطاع حاضرها عن ماضيها، وتفتت وحدتها وضياع هويتها، فإن لتلك المشكلة طرفا آخر يتمثل في علاقتها بالآخر - أي الغرب الأوربي والأمريكي الصليبي، والصهيونية - ويمثل ذلك الآخر أكبر تحديات الخطاب الإسلامي عند قراقوچ. ذلك لأنه هو العدو الحقيقي الذي يمتلك آله شيطانية رهيبة يهيمن بها على العالم كله، ويفرض من خلالها على المسلمين تبعيته والانصياع لما يمليه عليهم، كما أنه يستنفد ثرواتهم وأموالهم، ويؤجج نار الفتنة والقطيعة بينهم، وكلما لاحت في الأفق إرهاصات وحدة أو قوة عربية أو إسلامية، لا يهدأ حتى يقوضها. فبين الإسلام وبين الصليبية والصهيونية رصيد من العداء التاريخي مستكن في أفئدة الغربيين منذ الحملات الصليبية الأولى.

ويرى قراقوچ أن الحروب الصليبية لم تنقطع يوما واحدا منذ قيامها حتى الآن، والفرق بينها الآن وبينها في القرون الوسطى، أنها كانت علنية وعسكرية في الماضي وهي الآن سرية تدار في الخفاء وفق مخططات دقيقة متغلغلة في كل مناشط الحياة؛ وغايتها هو اقتلاع الشباب المسلم من جذوره الدينية لينشأ بعد ذلك وفق العادات المسيحية التي تُنقل إليه على أنها أخلاق الحضارة في القرن العشرين [٧٠].

ومن ثم تظهر في الديوان إشارات كثيرة تؤكد كراهيته للغرب، وهذا ما يتضح من خلال الألقاب البغيضة التي يطلقها عليه، فتارة يطلق عليه العقرب :

العقرب تجوب الوديان
العقرب الجديدة تنشر الجذام [٧١]

ويدعو لقتل العقرب في موضع آخر فيقول :

إن لم تقتل العقرب التي تمص السكر
ستصنع من السكر سما !
فاعلم ذلك جيدا من أجل الأطفال
ولقنه درسا للطفل الذي قتلته [٧٢]
لنقتل كل صيف آلاف العقارب في الحدائق.[٧٣]

فالغرب عنده «سم زعاف يتجرعه العالم، وهو يظنه الدواء، وما يزال الغرب ينشر أفاعي الروح وعقاربها في كل أنحاء الدنيا باسم التقنية» [٧٤]. ومن بين الألقاب التي يطلقها على الغرب أيضا لقب الأفعى، فيقول :

الليلة عادت الأفعى تحوم حولي،
تنفث كصانع الرجاج...
كانت تجر السجادة لتصنع قاربا،
تعبر به البحر الذي حررتُه !
وتقف في النافذة تنادي الليل،
وتجمع السناج من المدخنة؛
لتدثرني بمخاوفي في كفن مقدس.[٧٥]

فمن بين أهداف الغرب التي يخطط لها، تكريس روح الهزيمة والاستسلام بين المسلمين، وإظلام المستقبل أمامهم؛ ليقعدهم عن الحركة، وإقناعهم بأن البديل لتخلفهم هو «الأخذ بالحضارة الغربية، وأن هذا هو الطريق الوحيد إذا أرادت تلك الشعوب أن تصل إلى ما وصلت إليه أوربا وأمريكا، وبذلك يضمنون أن تظل تلك الشعوب تابعا ذليلا للغرب، وموردا للمواد الخام وسوقا استهلاكية لمنتجاته المادية» [٧٦].

إن الغرب عند قراقوج كاهن شرير لا يصدر عنه إلا الشر والفساد وهو

يستعين عليه بالإسلام :

ليس في عالم الكاهن المزيد
مثال،
ولا قائم ولا معلق،
ولا نفس ولا حوض...
فأنا لم أجد لديهم...
الحياة...
وجدت لديهم
الأحمر والأسود والأصفر،
ولم أجد لديهم
الأزرق والأبيض والأخضر...
لقد حررني العِلم
من أنظمتهم...
وعلمتني أمي في طفولتي
الا أزيغ وأنا أعبر الصراط،
وأن أمشي على الإفريز بسهولة،
وأن أمص سم الأفعى...
بشفتين مضمومتين،
وألا أتعرى من ثيابي إن سُلبت،
وألا أموت إن سقطت من الطائرة،
وأن أفسر الحلم
بكلمة من العلوم السامية
بكلمة مقدسة
بالاسم الأعظم... (٧٧)

فحضارة الغرب حضارة مادية مفلسة روحيا، مفتقرة إلى قيم الخير والشرف، وأيما حضارة تقوم على المادية والشر فإنها حضارة شيطانية، ولدى المسلمين من رصيهم الإيماني ما يحصنهم من شرورها وأضرارها.

وقد زرع الغرب الصليبي إسرائيل في قلب الأمة الإسلامية ورعاها وزودها – ولم يزل- بآلة حربية هائلة؛ ليضرب من خلالها كل مشاريع النهضة والوحدة في العالم الإسلامي. فإن كان الغرب أفعى - كما يرى قراقوچ - فإسرائيل هي رأسها التي تنفث الشر والخراب بين المسلمين :

إسرائيل،
تعشق الدم والحرب في فلسطين،
وتغرس بذرة الانتقام
في الأرض مكان الطعام،
وتبادر بزراعة الشيلم في الشرق،
ليسكت القمح،
ويتكلم زنار الشيلم...
فهل ذلك من علامات القيامة ؟! [٧٨]

ورغم أنه ليس هناك أدنى شك في أن الصراع العربي الإسرائيلي، صراع ديني بين الإسلام واليهودية التي تعضدها الصليبية [٧٩]. فإن العرب مع الأسف ما زالوا يرفضون مواجهة إسرائيل بسلاح الإسلام، مثلما تحاربهم إسرائيل بسلاح اليهودية. إن إسرائيل تجمع اليهود من شتاتهم باسم اليهودية، وتنعش اقتصادها باسم اليهودية، وتحارب تمكينا لليهودية، والعرب يواجهونها بالقومية العربية تارة، وبالبعثية تارة أخرى. ومن ثم فإن قراقوچ يفسر انتصار إسرائيل على مصر والعرب في حرب ١٩٦٧م بأنه انتصار لأتباع اليهودية المحرفة الذين خاضوا الحرب باسمها على المسلمين الذين خاضوا الحرب بسلاح غير سلاح الإسلام؛ فانتصرت العقيدة الباطلة على الأيدولوجية :

واجه موسى السحرة وجها لوجه،
وواجهت إسرائيل مصر وجها لوجه.
انكمش البحر الأحمر كجلد غزالة...
وجف ولو كان في الشجرة روح
لأحيتها يد موسى...
لقد هزمت الشجرة الزئبق،
وهزمت العقيدة العِلم... (٨٠)

فالذي حدث في حرب ٦٧ يشبه ما حدث في يوم الزينة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون، حيث خاض موسى المواجهة بالعقيدة وخاضها السحرة بجبروت فرعون ووعده لهم.

ثانياً: في طريق الإحياء الإسلامي

يرى قراقوج أن مواجهة تلك التحديات وتجاوزها سعيا إلى تحقيق الإحياء الإسلامي ينبغي أن يمر بمرحلتين، الأولى هي مرحلة التمهيد، والثانية هي مرحلة التأسيس.

أولا : مرحلة التمهيد :

وهي مرحلة التهيؤ والإعداد للخروج بالإحياء إلى حيز الوجود، وتتم وفقا لخطوتين :

أ- العزلة المؤقتة : الحانة المزدحمة بضجيج السكارى وهذيانهم لا تصلح مكانا للتأمل والتدبر؛ لذا يضطر المتأمل إلى اعتزال الحانة والبحث عن مكان هادئ نظيف. والعزلة - حينئذ - ليست هروبا من المواجهة، بل هي تحصين للذات واستجماع لعناصر القوة، وإعداد للمواجهة مرة أخرى. فهناك فرق بين من يهرب مولياً الأدبار لعجزه عن مواجهة خصمه، ومن يهرب متحرفاً لقتال،

والحرب إقبال وإدبار وكر وفر. وقد ظلت حضارة المسلمين دهراً تقبل على العالم وتكر، فلما أصابها ما يصيب الحضارات من هزال وأحاطت بها التحديات من كل جانب، لزمها أن تنسحب مؤقتا من المواجهة؛ تحصنا وبعثاً لأسباب القوة والمنعة فيها، ومن ثم نرى الخضر - قناع الشاعر ورمز الداعية الإسلامي - يستهل الديوان خارجا من المدينة :

خرجتُ من هذه المدينة ذات السور المحكم،
لم يعرفني إلا الخفافيش،
وأوشك حارس كرمة أن يمسك بي،
ويشاع عني أني لص.[٨١]

ثم يحدد الخضر وجهته التي يقصدها بأنها الجبل على وجه التحديد :

هناك كلمة جديدة،
تمضي نحو الجبال.[٨٢]

والخروج إلى الجبال لا يعني خروجا مكانيا بالنزوح من المعمورة وسكنى الجبال في مرحلة الاستضعاف كما تدعو لذلك بعض الجماعات. إن الخروج عند قراقوج خروج زماني وجداني بالانخلاع من فوضى الحاضر وضياعه، والنزوح الزماني إلى جوهر الدين الحنيف، وإلى عهد ميلاد الدولة الإسلامية؛ حيث تحقق المثال الكامل للذاتية الإسلامية. إنه خروج من كل ما هو فاسد إلى كل ما هو صالح، «... ومثلما كان موسى عليه السلام يترك قومه ويذهب إلى طور سيناء ليكلم ربه ويتلقى وحيه، ثم يعود إلى قومه، فإن للمصلح طور سيناء في قلبه تتوقد فيه نار التجلي وحرارة الحقيقة » [٨٣].

ولا ينبغي أن نفهم انعطاف الشاعر نحو البداوة، وتفصيله لكل عناصر الصورة الرعوية التي رسمها في القصيدة التاسعة عشرة، على أنه دعوة إلى البداوة وأخلاقها؛ فكل ذلك رمز لصفاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها بعد

أن حجبتها غيوم ذلك الواقع المظلم :

الجبل مهيأ...
متحرر من مبهرات النظر في الليل...
سيغدو عاصمة للقطيع...
سيلملم القطيع أذياله في السحر،
وخرقه العتيقة،
وعرعره القروي.

العنزة والشاه والبقرة
سيجمعن النهار في الجبل،
والعلوم الموروثة من جيل لجيل،
وسيمضين الليالي ساعيات في البيوت.

وعندما تشرق الشمس بعد ذلك،
تشرق على وجه الصفحات،
وعلى المراعي،
وتصبغني بلون الخضر.

وحالما ينهض قطيع الفجر
يمضي في طريق الشمس ؟
ليلحق بالقطيع الكبير...
عندئذ، يتحرر من أعباء البيت،
ويبدد الضباب الكثيف خوف وخجل وأسى
ويجني ثمرة تحاوره مع نفسه...
ولسوف يعود الطفل إلى المدينة...
أكثر سموا ونضجا وحداثة.[٨٤]

فالجبل والشمس والعنزة والبقرة والشاة والكلب، وغيرها من رموز البداوة التي جاءت في القصيدة، لا تعني انتقالا عبر المكان إلى الجبال، والاعتكاف بها انتظارا للإشراق الروحي، إنما تعني إحياءً لمناخ فجر الدعوة الإسلامية والمقومات الروحية العظيمة التي صاحبت قيام الدولة الإسلامية الأولى في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، حيث الفطرة السليمة وجلاء العقيدة وبساطة العيش. فالصلة الروحية بفجر الإسلام ضرورة لتربية جيل متحرر من التفسخ والضياع.

فالعزلة التي يدعو إليها الشاعر تعني اعتزال مساوئ الحاضر والهجرة نحو المنبع؛ من أجل تربية وإعداد جيل قادر على تبليغ دعوة الإحياء. ويعتبر قراقوج «أن إعداد قيادات دينية عالمة عاملة صابرة، من الشروط الأولى للإحياء، فهؤلاء هم أساتذة جيل الإحياء الذين يتحملون أمانة القيادة والتوجيه ووضع القواعد الأساسية لدولة الإسلام الجديدة» (٨٥).

ثم يدلل على صحة دعوته للعزلة المؤقتة بما فعله الفتية الذين آمنوا بربهم وفروا إلى الكهف من بطش قومهم ولبثوا في الكهف إلى ما شاء الله، ثم بعثهم الله بعد رقادهم الطويل، فعادوا إلى المدينة ليكونوا سببا في هداية خلق كثير، ومن قوله فيهم :

سيكون الكلب لنا ذات يوم
طفلنا العائد بعد غياب
بصوت عذب ولغة دافئة
وريش رمادي...
يتطهر من الرماد
الذي علق به من زمان...
وسيحمل معه حسن العذارى
إلى الوديان...

يعود كبعير خاض في الصحراء شاديا ألف نغم
حاملا معه العاصمة القديمة
وفي الظهيرة يطرق باب مغارتنا
ليعيد إلينا الزمن المسروق
ويقدم لنا أخضر ما في المراعي الأُنف
وتمنحنا يده التوافق مع المستقبل
ويلقن الأطفال أعظم درس عن نومنا...
نومنا قرين الخوف،
فهو خلق جديد للحضارة...(٨٦)

فالنوم أو العزلة – إذن – تكوين وخلق جديد للحضارة يتم من خلاله التخلص من علل الحالة الراهنة، واستكمال كل أسباب القوة، والبحث عن صيغ إصلاحية جديدة لتغيير الواقع واستشراف مستقبل أفضل. وانطلاقا من ذلك الفهم يفسر الشاعر اعتزال السيدة مريم العذراء لقومها في مكان قصي، ثم عودتها ومعها كلمة الله ورسله في القصيدة الثانية عشرة، وكذلك هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ثم عودته إلى مكة مرة أخرى بعد استكمال أسباب القوة والنصر في القصيدة السادسة والثلاثين.

ب- العودة والتبليغ : كما عاد موسى عليه السلام من طور سيناء ومعه التوراة، وكما عادت مريم من مكانها الذي انتبذت به ومعها كلمة الله، وكما عاد رسول الله ﷺ من غار حراء ومعه آيات القرآن الأولى، يعود الخضر من عزلته إلى المدينة ومعه رسالة الإصلاح والإحياء :

عندما أدخُل المدينة
أدخُلها كمطر الربيع
أتعهد ورودها،
وأطهر مياهها،

وأرعى مرمرها،
ونعوشها،
وحطامها،
وأقمصتها القذرة المحروقة،
وأهدابها الذابلة...[٨٧]

فالمصلح بعد اعتزاله الحاضر رافضا ومتحصنا ومعدا للعدة، يعود إليه داعيا مسئولا عن كل أموره ما صغر منها وما كبر؛ لأنه اعتزل - أصلا - من أجل ذلك الدور الإصلاحي. إنها عودة بالربيع بعد شتاء طويل، وبالمطر بعد قحط شديد :

المدن المجدبة موجودة
والخضر...
يحمل إليها النوار
المتساقط من انشقاق القمر
وسيأتي مساء يعود فيه
الشباب إلى تلك المدن...[٨٨]

وقد ترتفع نبرة الداعية فتكون صراخا ورجاء حاراً :

أصرخُ في الريح أنْ هبى،
واحملي في حناياك همسا...
وأصرخ في البحر أنْ ثر،
وهات الربيع في زبدك،
وعجل به للنساء العقيمات،
ليغتسلن في مائك...
وأصرخ في المساء،

أن دع الشباب،
وارحل مع اليأس،
ولتكن نهاية حياة النور
المستوحش من المصباح...

وأصرخ في هؤلاء المسافرين
أن عودوا في القطار الذي سافرتم به
فقد هبط من السماء
ذلك المعنى الأبدي الخالد
فالشفاه أصبحت صخورا جامدة
من الصمت...

وأصرّخ في الأب الحزين
المتشوق لحلول بشائر الربيع
والمترقب لثورة الوردة،
والأم المتحرقة شوقا للوردة
أنْ غص في قاع البحر،
وهات في يدك وثيقة عن مكان الوردة
فعرق الجياد لم يجف حتى الآن،
في مرابض الخيل العتيقة...[٨٩]

إن صراخه يحمل بذرة (الثورة الراشدة) على الواقع فهو يدعو الريح أن تهب هامسة، والبحر أن يثور حاملا في زبده الربيع والخصب للنساء العقيمات، وفي المساء واليأس أن يغادرا، فهي ثورة البناء والإحياء وليست ثورة الهدم والتقويض، ثم يصرخ في هؤلاء المغتربين عن أصلهم، المقتلعين من جذورهم أن يعودوا إلى المنبع الصافي للدين، فقد جاء الخضر يدعوهم بعد صمت طويل.

ثم يدعو الناس إلى السعي والحركة والبحث عن الوردة – من رموز الإحياء الإسلامي عنده- فعرق الجياد التي رسمت سنابكها حدود معظم الفتوحات الإسلامية لم يجف بعد.

إن رسالة داعية الإحياء الإسلامي عند قراقوچ، رسالة جليلة جدا بحاجة إلى دعاة من طراز فريد للقيام بها. ففضلا عن العلم والحكمة والبصيرة وقوة التأثير والصبر ينبغي أن يتمتعوا بموهبة التوفيق بين النقائض والأضداد وتحقيق الانسجام بينها؛ بحيث تتضافر جميعها لخدمة الإحياء :

إني أنا الخضر،
محطم النواقيس،
وحجام الحمام،
منير الليالي بالنظرات العظام.
انتظر في البيضة
أنا حارس المقابر
أنا صائد نار قافلة الحكماء
وحامل الغضب لغروب الشمس
أرد الشيخ شابا،
أدحرج جبل الثلج،
واقذف الصخر،
وافتت الجبل...
أنا مركز الزلزال،
وخميرة الصاعقة
ورائحة الخردل،
وصبر الجراد،
ووحي النمل،

ورفات الموتى،
وفراغ الحجرة المجاورة،
وأول بيان للحروب العالمية
أنا الإنسان الأول
والمقبرة الأخيرة
أنا الخضر...[٩٠]

فهو يجمع بين محطم النواقيس، وحجام الحمام، وهو (بروميثيوس) و(سيزيف)، والميلاد والموت، والثلج والنار، والزلزال والصاعقة، والجراد والنحل ورفات الموتى، وبذلك يكون الداعية عنده شخصية (كاريزمية) كما هو شائع في الأدبيات الحديثة. وما ذاك إلا لأن مهمته على قدر كبير من الخطر «فلقد انحط العالم إلى درك الحيوانية، وتفشى وباء ذلك الانحطاط، وليس سوى داعية الإحياء الإسلامي من طبيب.. ولا خيار فليس سواه للإنسانية كلها»[٩١].

ثانيا : مرحلة التأسيس :

وفي هذه المرحلة يعني الشاعر بوضع الأسس التي يقوم عليها خطابه، ويمكن تحديدها في النقاط التالية :

أ- التواصل مع الماضي وتأكيد الهوية : وهو أهم أسس الإحياء عند قراقوچ؛ لأن «الأمم إذا تيسر لها المحافظة على جامعاتها من دين ولسان وتاريخ، ولم تستحل وتنحل في غير عنصرها فهي أرقب الناس للفرص وأعلق الخلق بإعادة مجدها وتجديد وإعادة سيرتها الأولى»[٩٢] أما إذا انقطعت عن ماضيها وتحللت في غيرها وذابت، فإنها تحكم على نفسها بالضياع. ولا يعني قراقوچ بدعوة المسلمين إلى التواصل مع الماضي إضفاء قداسة على ماضي المسلمين جميعه، فليس كله نورا وخيرا، إنما يعني التواصل مع منهج الله وشريعته ودستور الإسلام الخالد؛ لأنه كما يقول سيد قطب: «هو التصور

الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله الرباني، وحقيقته الربانية، وهو تصور رباني جاء من عند الله بكل خصائصه وبكل مقوماته، وتلقاه الإنسان كاملا لا ليزيد عليه من عنده شيئا ولا لينقص كذلك منه شيئا، ولكن ليتكيف هو به وليطبق مقتضياته في حياته. ولا يقتضي هذا تجميد -حركة الفكر والحياة ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة – بل دفعها إلى الحركة- ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت» [٩٣]، ولذلك فإنه إذا لم تؤسس نهضة المسلمين ومدنيتهم على قواعد الدين والقرآن، فلن تعود عليهم بالخير [٩٤].

وانطلاقا من ذلك يرى قراقوچ أن الماضي دم يجري في جسد الإحياء، وهو مصباح وسط الظلام الحالك، وفجر الأمل الوحيد[٩٥]، ولهذا يقول في أحد رسائله إلى الشباب «إن الزمن الحقيقي هو زمن الأنبياء والصحابة والحواريين، وأهل الكهف، فَصِلُوا زمانكم بزمانهم وافتحوا نوافذكم على ربيعهم الخالد»[٩٦]. كما يضرع إلى رسول الله ﷺ ضراعة حارة أن يتحقق للمسلمين العودة إلى دينهم :

ارفع عنا العذاب،
واجعل الكلمة المصلحة الأولى،
ملاذاً للخائفين،
ولجرحى الظاهر والباطن؛
فصورة حراء،
هي أحذق طبيب لنا.
أنت ساقي ماء الحياة،
لشهداء الظمأ الأخير،
فأعد المرمر المطروق في الأزمنة القديمة،
أزمنة عيسى وموسى وإبراهيم،
والصفا والمروة،

والحجر الأسود،
وطهر بجمم كلماتك
النيل والفرات ودجلة
المتدفقين من الجنة
وأنعم على العيون والأجنحة
وسجدات الليل
وخنادق البشرى
بتنفس الصبح...(٩٧)

فالعودة إلى شريعة الله، هي مأوى المسلمين وملاذهم، وهي ماء الحياة الذي يبعث الروح في موتاهم؛ لتدب فيهم الحياة المطهرة المنيرة. وكأن قراقوچ يعني بدعوته إلى التواصل مع الماضي، العثور على تلك الروح أو القوة الإيمانية الخارقة التي أتاحت للمسلمين الأوائل أن تكون لهم الريادة الحضارية في عصرهم؛ لينبعثوا بها من بعدهم موتهم، ويجتهدوا لكي يقيموا لهم حضارة في هذا العصر تقف موقف الند من الحضارة الغربية أو تتفوق عليها. وفي تلك الحال لا يكون التواصل مع الماضي جمودا، بل هو بحث عن أسباب الحياة من جديد، وعندئذ يصبح الماضي كالمائدة الربانية - التي أنزلها الله على عيسى عليه السلام والحواريين - فالخبز الذي أُكِل على هذه المائدة هو غذاء القلب، أما الزيتون فهو نور المائدة وإدامها :

إنه غذاء إدريس وإسحاق وشيث
وظل إلياس،
ومساء يوسف
المملوء بماء الحياة العتيق،
ووعاء الماء الفضي
المخبوء في رحل بنيامين،

وفراء شاه يعقوب،
وأطلس إبراهيم،
وعصا موسى الراعي [٩٨]

وحين يتأتى للمسلمين أن يقيموا للإسلام دولة في قلوبهم على أسس ودعائم من الدين الخالص، فإنهم - إذ ذاك - يعرفون أنفسهم، ويفيقون من غفوتهم، ويؤكدون هويتهم وتميزهم، وتنتفي قابليتهم للاستعمار[٩٩]، ويبقى التحدي الصعب بعد ذلك متمثلا في «استيعاب منطق الحضارة العصرية وتحقيق نبوغ حضاري يعترف به الآخر»[١٠٠].

وتأسيسا على ذلك يرى قراقوج «أن المجتمعات كالأفراد، فالمجتمع الذي يعرف نفسه ويقدرها هو مجتمع عزيز، أما المجتمع الذي يحقر نفسه، ويفقد شخصيته هو مجتمع بلا هوية، مغترب عن نفسه، وموطن الداء في المجتمعات الإسلامية هو تملك عقدة النقص فيها، وقد تركت تلك العقدة فينا آثارا سيئة، فمن ناحية جعلت الشخصية الإسلامية تتميع وتفقد مقومات وجودها، ومن ناحية أخرى خلقت فجوة بين الماضي والحاضر، ومن هنا ينبغي أن نؤكد أن الشرط الأول للنهضة هو استعادة الشعور بعزة الهوية الإسلامية»[١٠١].

وقد ملأ الشاعر ديوانه بصور ومواقف تاريخية مجيدة وشخصيات إسلامية فذة؛ سعيا منه إلى وصل الحاضر بالماضي، واستعادة الشعور بعزة الهوية الإسلامية، فخصص القصيدة الخامسة والثلاثين للحديث عن غزوات الرسول ﷺ مثل بدر والخندق وفتح مكة والفتوحات الإسلامية، وخصص القصيدة السادسة والعشرين للإشادة بتجربة الحلاج الروحية وشهادته في سبيلها، كما خصص القصيدة الخامسة والعشرين للحديث عن جلال الدين الرومي، والقصيدة السابعة والعشرين للحديث عن ابن عربي، باعتبارهما مثالين للفكر الديني.

هذا ولم تخل قصيدة من قصائد الديوان من ذكر لأنبياء الله ورسله وسيرتهم، وقد خص الرسول ﷺ بقدر أكبر من الذكر، فجعل القصيدة الثانية

والثلاثين (معراجية) تغني فيها بالإسراء والمعراج، وتأسف على المسجد الأقصى مسرى الرسول ﷺ، وخصص القصيدة السادسة والثلاثين للحديث عن هجرة الرسول من مكة إلى المدينة، وجعل القصيدة الثامنة والثلاثين (مرثية) جسد فيها فجيعة المسلمين لوفاته ﷺ.

كما يرى قراقوج أنه لكي تتحقق للمسلمين خصوصيتهم التي تحفظ هويتهم، فإنه لابد أن يتوفر لهم نظام اقتصادي مستقل لا يتبع أيا من مذاهب الشرق والغرب؛ لأن النظام الاقتصادي الذي أسسه الرسول في مجتمع المدينة له خصوصية عقائدية وحضارية مختلفة عن كل النظريات والمذاهب الاقتصادية المستوردة[١٠٢] وينبغي أن يقوم لهم كيان ثقافي حر متميز له خصوصيته الإبداعية والحضارية؛ لأن ثقافة الإسلام لها استعلاء على كل الثقافات[١٠٣].

وليس معنى ذلك أن خطاب الإحياء الإسلامي عنده يدعو إلى الانغلاق والجمود، بل على العكس من ذلك «فهو يدفع المسلمين إلى الإحاطة بتراث الحضارات القديمة والمعاصرة وهضمه، وتكوين ثقافة إسلامية فريدة يمتزج فيها العقل بالعقيدة والفكر بالوحي...»[١٠٤] فالفرق كبير بين الاستقلال والتميز والانغلاق والجمود. فاستقلال العالم الإسلامي هو الذي يضمن له «أن يستغنى عن الغرب في كل مرافق الحياة، فيطعم نفسه ويكسوها ويصنع سلاحه، ويستخرج كنوز أرضه وينتفع بها، ويدير حكوماته برجاله وماله، ويمخر البحار المحيطة به بسفنه وأساطيله، ويحارب العدو ببوارجه ودباباته وأسلحة بلاده، ولا يحتاج إلى الاستدانة من الغرب والانضمام إلى معسكر من معسكراته»[١٠٥] فالمطلوب هو نهضة إسلامية متميزة في العلم والصناعة والثقافة والاقتصاد والأدب والإدارة تتحدى نهضة الغرب وتتفوق عليها.

ب- الوحدة الإسلامية : إن وحدة المسلمين من الأمور اللازمة لقوتهم ونهضتهم في كل زمان، وقد حض الحق عز وجل المسلمين في كتابه الكريم على التعاون والاعتصام ونبذ أسباب الفرقة والانقسام. وحالما يعود المسلمون

إلى دينهم، ويعتصمون بحبل الله، ستكون وحدتهم هي الثمرة الطبيعية لتلك العودة. ولم تمس حاجة المسلمين في أي وقت إلى الوحدة مثل حاجتهم إليها الآن بعد أن ضاعوا وضلوا، وتداعت عليهم الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها.

ولم يفتأ الدعاة المخلصون والحكماء في هذه الأمة يدعون إلى الوحدة، ويحذرون من مغبة التدابر والتشرذم الوخيمة. ولربما كان جمال الدين الأفغاني خير مثال لذلك، فقد كرس حياته داعيا إلى نهضة المسلمين ووحدتهم، وله في ذلك أقوال بليغة، مثل قوله: «أيا بقية الرجال، ويا خلف الأبطال، ويا نسل الأقيال! هل ولى بكم الزمان، هل مضى وقت التدارك هل آن أوان اليأس؟ لا..لا معاذ الله أن ينقطع أمل الزمان منكم... أليس لكم أن تتفقوا على الذب والإقدام كما اتفق عليه سائر الأمم؟ ولو اتفقتم فليس ذلك ببدع منكم، فالاتفاق من أصول دينكم، هل أصاب الخدر مشاعركم فلا تحسون بحاجات بعضكم البعض؟ أليس لكل واحد أن ينظر إلى أخيه كما حكم الله في قوله { إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (الحجرات:١٠) فتقيمون بالوحدة سدا يحول عنكم هذه السيول المتدفقة عليكم من جميع الجوانب؟ إني أرجو أن يكون سلطانكم القرآن، ووجهة وحدتكم الدين، إن هذا بعد كونه أساسا لدينكم تقضي به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات، هذا آن الاتفاق، هذا آن الاتفاق...»[١٠٦].

وذلك هو الخميني يدعو دعوة الأفغاني نفسها بعد قرن من الزمان تقريبا، فيقول: «يا أيها المسلمون في كل أرجاء العالم، أيها المستضعفون الرازحون تحت سيطرة الظالمين، انهضوا وتعاضدوا متحدين، ودافعوا عن الإسلام وعن مقدراتكم، ولا تهابوا ضجيج الطواغيت...»[١٠٧].

وقد أشرنا من قبل إلى أن قراقوج لم يفصل القول في مسألة الوحدة الإسلامية في هذا الديوان واكتفى بالإشارة الموحية المعبرة، فقد أشار في القصيدة العاشرة إلى رفضه لفكرة القومية، باعتبارها إحياء لمفاهيم عرقية، تفرق المسلمين ولا تجمعهم، فقال معرضا برمز من رموز القومية الطورانية :

«قِزل آلما» فكرة جنون العظمة
طلاء إعدام للزنوج[108]

و«قِزل آلما» بمعنى التفاحة الحمراء، وهي أسطورة قديمة يتخذها الأتراك للتباهي بجنسهم ومجدهم، ولها رواج كبير في أدبيات القوميين منهم، أما قراقوچ فهو يمقتها ويعتبرها من قبيل جنون العظمة، ويدعو إلى أخوة إسلامية حقيقية مثل التي كانت في عهد رسول الله ﷺ وصحابته، وقد تجلى مفهوم الأخوة الإسلامية بوضوح في غزوة بدر، حيث :

في بدر، قتل الأخ أخاه
بعدما قامت أخوة حقيقية جديدة[109]

فالأخوة في الدين صارت مقدمة على أخوة الدم والعصب، والمسلمون الآن في أمس الحاجة إلى وحدة يتحقق فيها ذلك المثل الأعلى «فالصليبيون والصهيونيين يتوحدون ضدنا، ولا بد لنا أن نتحد لنقدر على مواجهتهم...» [110].

وإذا كان دعاة القومية العربية يرون «أن العرب يشكلون كإمكانية وكطاقة كامنة معطلة دولة قوية لم يسمح لها بأن ترى النور، دولة ضخمة المساحة ١٣,٦ مليون كم، وتعداد سكانها أكثر من مائتي مليون نسمة يتمركزون فقط في ١٨٪ من إجمالي المساحة، دولة تزخر بكل المعادن والطاقات، وبمساحة زراعية وافية، وبثروات برية وبحرية لا حصر لها، لكن هذه الدولة القوية المعطلة والموجودة بالقوة لا بالفعل - بالتعبير الأرسطي- محرم عليها أن تقوم من رقادها؛ لأن هناك عطالة ذاتية تحول بينها وبين النهوض، ولأن القوى الاقتصادية والسياسية للغرب المهيمن في العصر الحديث تحرم عليها أن ترى النور؛ لأنها ستكون بالتأكيد دولة قوية بكل المقاييس، وهو الشيء الذي يرهبه الغرب ويجتهد في طمسه في المهد» [111] فلنا أن نتصور ماذا لو اتحد المسلمون جميعا، وقامت دولة إسلامية تعداد سكانها مليار نسمة فوق مساحة تقدر

بنصف الدنيا تقريبا، يسخرون كل طاقاتهم وإمكانياتهم لخدمة الإسلام؟.

جـ- عالمية الإحياء الإسلامي: الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأرسل جميع الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى التوحيد الخالص، ودعوتهم إلى الإسلام مصداقا لقوله تعالى: { قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ } (آل عمران:٨٤، ٨٥) (١١٢).

فإذا وضعنا في الاعتبار أن جميع الكتب السماوية - ما عدا القرآن الكريم- قد حرفها أصحابها وابتعدوا بنصوصها عن أصلها السماوي، وأولوها لخدمة أغراضهم ومصالحهم الدنيوية، وبقى القرآن الكريم وحده دون تحريف وتبديل محتفظا بأصله الإلهي، وإذا وضعنا أيضا في الاعتبار أن الحضارة الغربية تعاني إفلاسا روحيا رهيبا، أفعم نفوس الناس بالقلق والحيرة والتشاؤم، بعد أن فقدت مبرراتها الروحية، وكذلك المبررات الاجتماعية والموضوعية لاستمرارها (١١٣)، لا تضح لنا الدور الخطير الذي ينبغي أن يقوم به المسلم الآن نحو نفسه ونحو الآخرين، وهو دور يقتضي البناء والتشييد في الداخل والإشعاع في الخارج(١١٤).

فمن المُسَلَّم به أن هذا الدين جاء لينشئ أمه ذات طابع خاص متميز متفرد، وهي في الوقت ذاته أمه جاءت لإنقاذ البشرية، وتحقيق منهج الله في الأرض، وإنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة، والمناهج الضالة، وهو ما تعاني اليوم مثله مع الاختلاف في الصور والأشكال. وإدراك المسلم لطبيعة التصور الإسلامي هو الذي يكفل له أن يكون عنصرا صالحا في بناء هذه الأمة، وعنصرا قادرا على القيادة والإنقاذ (١١٥).

ومن ثمَّ فدور المُسلِم هو دور إمامة العالم وقيادته، وإرشاده وتوجيهه وليس دور التقليد والإتباع(١١٦).

وفي ضوء ذلك الفهم الصحيح للإسلام ولرسالة المسلم تجاه أمته وتجاه العالم يقرر - قراقوج - أن الإحياء الإسلامي ليس ضرورة ملحة في هذا العصر للمسلمين فقط بل للإنسانية كلها (١١٧) فهو العلاج الناجع الوحيد للبشرية كما يقول في ديوانه :

أيها الإنسان الميت،
فلنحي ذكرى اللون الأخضر،
قبل أن يغطي الأرض الدم الأحمر،
ولنبشر بالربيع لكل العالم،
ولكل طفل مسلم؛
كعلاج روحي ناجع.(١١٨)

فالإسلام هو منقذ البشرية من الصراعات والحروب الطاحنة المستعرة في كل أنحاء العالم؛ لأنه دين المحبة والسلام والتراحم والتكامل والإخاء بين الناس دون تباين بينهم بلون أو بعرق :

ليس فيه ثأر، فالثأر طاعون...
إنه الحب...
حالب الحب من ضرع الكون.(١١٩)

ومن ثمَّ فرسالة المسلم هي تبليغ كلمة الإسلام للعالم والجهاد في سبيل الله، وإنقاذ البشرية من الكفر والشرك، وهدايتها إلى التوحيد :

في هذه الصحراء، في قلب فوضى هذا الكون،
نحن فقط الرجال، نحن الجنود،
نحن جنود بدر والقرآن...
نقدم الهدية للمدن،
القرآن، هدية السماء...

نفتح أمام العالم هذه المأدبة...
والذين لا يؤمنون بالله، ويؤمنون بأنفسهم،
نحرقهم، ونحرق بلادهم...
ومن يرفع صوته فوق صوت الله،
نقول له :
يا ذبابة في مهب الريح،
هذا هو خليج البصرة
فاحتكم :
فالأرض جهنم...
والسماء جهنم...
ومن يبني سورا أو جدارا أعلى من الكعبة
فنحن جيش نشق الأرض، ونفلق الصخر.(١٢٠)

إن المسلم - وحده - هو الذي يمتلك هدية السماء للأرض - القرآن - وعليه أن يتحمل مسئولية القيادة والهداية، والجهاد في سبيل نشر كلمة الله ومحاربة كل الذين يحاربون الله ورسوله؛ لأنهم بعداوتهم لله يحرمون الإنسانية من النور والشفاء؛ ولذلك ينادي على المسلمين المتدثرين - الآن - بمخاوفهم وانحطاطهم أن ينهضوا لإنقاذ البشرية :

يا أيها المدثر :
قم...
واخلع عنك ما يحجبك
عن البلاد والمثل العليا...
يا أيها المدثر :
قم واشف الإنسانية
من وباء التيفود،

والجذام الذي يجعدها،
وصرع الأجراس،
وسكر المعابد.(١٢١)

هذه هي أهم ملامح الخطاب الإسلامي عند - قراقوج - عرضنا لها في إيجاز غير مخل... وإنا لنرجو أن نكون قد وفقنا في تقدمة ذلك المفكر الإسلامي التركي إلى قراء العربية، وأن يكون صنيعنا لبنة في بناء الوحدة الإسلامية المنشودة، والمأمول أن يجد القارئ في تلك الصفحات ما يعينه على فهم الديوان وقضاياه التي عالجها. هذا ومن الله التوفيق.

حواشي الدراسة

1. Şakir Diclehan: sanat ve Düşünce Dünyasında SEZAİ KARAKOÇ. 5.17.piran yayınlar. ist.. 1981.
2. Ord. prof. Hilmi Ziya Ülken: Türkiye. de çagdaş Düşünce tarihi 11. s. 815. selçuk yay ınları. ist 1966.
3. Nıyazı Berkes: Türk düşününde Batı Sorunu. S. 167. Bilgi yayınevi. Ankara, 1975.
4. Prof. Dr. Mumtaz Turhan: Garplılaşmanın Neresindeyiz. S. 451, yağmur yayınları, ist., 1980.
5. Peyamı safa: Din. Inkilap – irtica, s. 115, ötüken yayınevi, ist.. 1971.

٦. عاصم الحسيني: سيرة إمام مجدد (بديع الزمان سعيد النورسي) ص٦، مؤسسة الخدمات الطباعية بيروت، د.ت.

7. Necip Fazıl Kısakurek: son Devrin Din Mazlumları, s. 44. Büyük Doğu, 3. B., ist., 1974.
8. a. g. e., s. 279.

٩. د/ مصطفى حلمي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية، دراسة حول كتاب (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) لشيخ الإسلام مصطفى صبري، ص٢٣، دار الدعوة الإسكندرية، ١٩٨٥.

10. prof. Dr. ilhan Arsel: Arap Milliyetçiliği ve Türkler. s. 619 – 651. Remzi kitabevi. Ist., 1.B., 1977.

١١. فتحي رضوان: القصة القرآنية، ص٧، دار الهلال، ١٩٧٨.

١٢. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص١٩١، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٧٣.

١٣. عبد المقصود محمد سالم: تفسير سور الإسراء والكهف ومريم، ص٢٥٥، مطابع شركة الشمرلي، ١٩٦٥.

١٤. ابن جزي الكلبي: كتاب التسهيل،ج٢، ص١٩١.

15. islam Ansiklopedisi, 5.cilt. 1, kısım, s. 460. Milli Egitim Basımevi. Ist., 1977.
16. a. g. e., a. s. 460.
17. a. g. e., s. 461.

١٨. سورة الكهف آية ٦٥.

١٩. أبو حامد الغزالي : مشكاة الأنوار حققها وقدم لها دكتور أبو العلا عفيفي، ص٧٧، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

٢٠. الكهف، الآيات من ٦٦ إلى ٧٠.

٢١. الكهف، الآيات من ٧٩ إلى ٨٢.

22. islam Ansiklopedisi: 5. cilt, 1. kısım, s. 261-262.

٢٣. محيي الدين بن عربي: لطائف الأسرار، تحقيق أحمد زكي عطية، طه عبد الباقي سرور، ص١٧-١٨، دار الفكر العربي، ١٩٦٢.

٢٤. السهروردي: آداب المريدين، تحقيق فهيم شلتوت، ص١٠٤، دار الوطن العربي، القاهرة، د. ت.

25. prof. Dr. Fuad köprülü: Türk Edebiyatında ilk Mutasavvflar. s. 27. Gaya Matbaacılık SaNayii A.B., Ankara. 1981.

26. selçuk Eraydın: Tasavvuf VE Tarıkatler. s. 184. Marifet yayınları.ist.. 1981.

٢٧. سورة طه، الآية ١٢٠.

٢٨. طه باقر: ملحمة جلجامش، ص٢٣، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٥.

٢٩. طه باقر: ملحمة جلجامش.

30. islam Ansiklopedisi, 5. cilt, 1. kısım. S. 462-463.
31. a. g. e., s. 456-486.
32. a. g. e., s. 463.
33. a. g. e., s. 466.
34. Meğer Hizir. Ilyas ola. Ab -1 hayat içmiş gibi
sezai karakoç: yunus Emre. S. 50. 4. B. Dirillş yayınları ist., 1979.

٣٥. ظلمت جسد ايچنده سن، خوش سفر دل ايلست محو اولوب اندن ايچه سن آب حيات ذو بقا.

ibrahim Hakkı Divani.s. 132. Elif offset. ist.. 1977.

٣٦. آب حيات ايچ، آند كيم كوثر اولدى أولمك. a. g. e. s. 119

37. Dahi Musa gibi Hizr , a gemisin deldire ol. Eski dıvarı yıkış hem katl-i oglana gerek. Gemi sağ oisa ame gasbeder emmare-I nefs. Yeni dıvar beğim eskiye vırane gerek. Eğer öldürmese oglan sonu fasid olur. Bu bağın bülbülu aşk odune pervane gerek.
- Seyyid Muhammed Nur: Misri Nıyazı Divanı Şerhi. S. 123.

٣٨. د/ حسين مجيب المصري: فضولي البغدادي أمير الشعر التركي القديم، ص٣٥٣، دار الفكرة للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

39. Bin bir adı Vardır, bir adı Hızır. Her nerede çağırsan, orada hazır.
- islam Ansiklopedisi. 5. cilt. I. kısım. S. 468.

40. a. g. e, a. s.

٤١. عبد الوهاب البياتي: الشعر العربي المعاصر والتراث، مجلة فصول. المجلد الأول، العدد الرابع. ص٢١، يوليو ١٩١١.

42. sezai karakoç: Hızırla kırk saat, 5.20, 5.B., Diriliş ynyınları. Ist., 1982.

43. sezai karakoç: a. g. e., s. 13.

٤٤. عبد الرحمن شاكر : حزب الاتحاد العربي. مجلة اليقظة العربية. السنة السادسة، العدد ٧. يوليو ١٩٩٠. ص٥٦.

٤٥. سعيد بن سعيد العلوي: المثقف العربي واستراتيجيات التنمية، مجلة الوحدة. الرباط، السنة السادسة، العدد ٦٦، مارس ١٩٩٠، ص٧٩.

٤٦. د/ محمد الرميحي: الفكرة أولا، من كتاب (المسلمون والعصر) سلسلة كتاب العربي، العدد ١٤ يناير ١٩٨٧، ص٧.

٤٧. د/ محمد عمارة: العلمانية ونهضتنا الحديثة، ص٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٨. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق ط٩، ١٩٨٨.

٤٩. د/ محمد حافظ دياب : سيد قطب الخطاب والأيديولوجيا، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٧.

٥٠. د/ محمد الرميحي: المرجع السابق، ص٥.

٥١. إبراهيم بشير الغويل: توجهات المشروع العربي الإسلامي وقسماته الحضارية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مالطا، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٩١، ص١٥٥.

٥٢. د/ محمد حافظ دياب: المرجع السابق، ص٧.

53. Şakir Diclehan: sanat ve Düşünce Dünyasında, SEZAİ KARAKOÇ, 5.41 – 58.
54. Sezai karakoç: çağ ve ilham 1, s. 14–15. Diriliş yayınları. 3. 5.,ist., 1979.
55. Sezai Karakoç: Hızırla kırk Saat, s. 123.
56. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 56.
57. Sezai Karakoç: a. g. e., s. g.

٥٨. د/ محمد كمال إمام: هموم المثقفين في العالم الإسلامي، ص١٠، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٦.

59. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 49.

٦٠. د/ محمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص٤٤، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د. ت.

61. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 7.

٦٢. إبراهيم بشير الغويل : المرجع السابق، ص١٧٤.

٦٣. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ص٩٦، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١.

64. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 61.

٦٥. د/ محمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص٣٦١-٣٦٢.

66. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 57.

67. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 12.
68. Sezai Karakoç: çağ ve ilham I. s. 23.
69. Sezai Karakoç: Farklar. s. 13.
70. Sezai Karakoç: Hızırla Kırksaat. S. 106.

٧١. المتكلم هنا هو الخضر.

72. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 37.
73. Sezai Karakoç: insanlığın Dirilişi. S. 18. Diriliş yayınları, ist., 1979.
74. Sezai Karakoç: Hızırla kırk saat. S. 75.

٧٥. خليل عبد الكريم : حضارة المسلمين.. لا حضارة الإسلام. مجلة أوراق عربية. نوفمبر ١٩٨٦، ص٦١.

76. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 79.
77. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 119.

٧٨. د/ رفعت سيد أحمد: الحركات الإسلامية في مصر وإيران، ص١٦٦، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٨٩.

79. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 71.
80. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 7.
81. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 105.
82. Sezai Karakoç: Makamda. s. 49. Diriliş yayınları. ist. 1980.
83. Sezai Karakoç: Hızırla Kırk saat. S. 43-44.
84. Sezai Karakoç: sur. s. 25. Diriliş yayınları. 2.B., ist. 1979.
85. Sezai Karakoç: Hızırla Kırk saat. S.
86. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 40.
87. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 96.
88. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 50-51.
89. Sezai Karakoç: a. g. e., s.26.
90. Makamda, s. 15.

٩١. د/ محمد عمارة : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص٢٣٠.

٩٢. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص٤٠-٤٢، ٧٢ ط١٠، دار الشروق،١٩٨٨.

٩٣. د/ محمد عمارة: المرجع السابق، ص٣٢٧-٤٤١.

94. Sezai Karakoç: Makam da, s. 7.11.
95. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 28.
96. Sezai Karakoç: Hızırla Kırk saat. S. 108-109.
97. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 60.

٩٨. مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص٥٨، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩.

٩٩. عبد الله العروي : ثقافتنا في ضوء التاريخ، ص٢٠٥.

100. Sezai Karakoç: Çağ ve ilham, 111. s. 78-79.
101. Sezai Karakoç: islam Toplumunun Ekonomik strukturu. S. 10. Diriliş

yayinlari, 7,8., ist., 1980.
102. Sezai Karakoç: Diriliş Mūstūsū, s. 25. Diriliş yayınları, ist., 1980.
103. Sezai Karakoç: çağ ve ilham. 111, s. 54.

١٠٤. أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٢٩٣، دار الأنصار، القاهرة ط١٠، ١٩٧٧.

١٠٥. د/ محمد عمارة : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص٣٤٥.

١٠٦. د/ رفعت سيد أحمد : الحركات الإسلامية في مصر وإيران، ص١٧١.

107. Sezai Karakoç: Hızırla Kırk saat. S. 22.
108. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 111.
109. Sezai Karakoç: sur, s. 90.

١١٠. من مقال الوحدة العربية والتكامل الاقتصادي بمجلة الوحدة، الرباط العدد ٨٩ فبراير ١٩٩٢، ص٤-٥.

١١١. آل عمران، الآيتان ٨٤-٨٥.

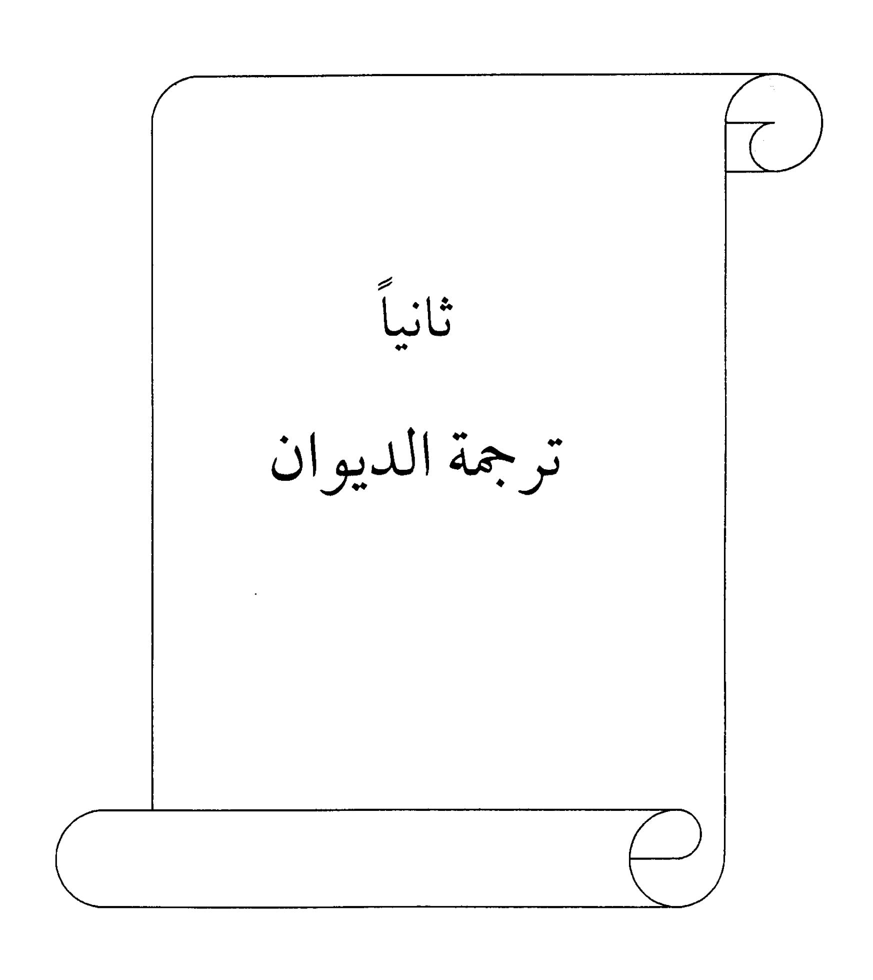
١١٢. مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص٢٢.

١١٣. مالك بن نبي، نفسه،ص٣٦.

١١٤. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص٦.

١١٥. أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٣.

116. Sezai Karakoç: çağ ve ilham. 111. s. 29.
117. Sezai Karakoç: Hızırla Kırk saat. S. 32.
118. Sezai Karakoç: a. g. e., s.112.
119. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 113.
120. Sezai Karakoç: a. g. e., s. 108.


ثانياً
ترجمة الديوان

(١)

خرجتُ من هذه المدينة، ذات السور المحكم
لم يعرفني إلا الخفافيش...[١]
وأوشك حارس كرمة أن يمسك بي...
ويشاع عني أني لص...
الكتب المقدسة معلقة في كل بيت،
ولم أجد من يتلوها...
أو يفهمها إن تلاها ![٢]
كتبوا قوانينهم على المصاحف،
مثل خواطري تلك...
لم ينقشوها على الحجر والصخر وصفحة الماء،
ولا على وجه السماء وسور البستان...
لم أجد شيئا حيا...
أولى بالمساعدة...
من صغار القطة،
وبخاصة العميان منهم.[٣]

---

(١) يقول الشاعر والناقد التركي أبو بكر أراغلو : «إن الخفافيش رمز لمجتمع منحل استبدت به حكومة طاغية تعشق الظلام، وترتاب في الشرفاء».

Ebubekir Eroğlu Sezai Karakoç un Şiiri. S. 58. Bürde yayınları. Ist., 1981.

(٢) يشير بذلك إلى تحول أصول العقيدة عند المسلمين الآن إلى مظاهر شكلية، فآيات القرآن الكريم تزين جدران المنازل، والمصحف الشريف في كل بيت ومكتب وعربة كتميمة تمنع الشر وتدفع الأذى.

(٣) يرمز بصغار القطة العمي إلى الناشئة من فتية الأتراك الذين استأصلهم الطور التغريبي العلماني الذي تعيشه تركيا المعاصرة من جذورهم الروحية وحجب نور الإسلام.

ثم انقضى يوم...
أيا مغارات الغرب...
لو كان يستهويني أفيونك
لما أفقت من النوم،
وما نزلت هذه المدينة القاسية،
وأوقدت عظام بعض الموتى،
وأشعلت أنوارهم لجيل بعد ألف عام...[٤]
وألقيت قبعة الشيخ،
وجمعت البطيخ،
ودحرجت الحجر من الجبل،
واغتسلت في النهر، وارتديت حلل الخلود،
وثويت على حجر مكتوب عليه بخط مسماري...
ومر من حولي السائحون والعمال،
وتذكرت رباعية شاعر قديم،
يقول فيها :
(حسبت أن ما لبسته من حلل متغضنة خالداً
وأنى ماء الحياة في الكأس يمور،
فظلت يدي في مكانها ممدودة...)
إني انتظر القمر الآن...
وحين يطلع، سأتركه ساهرا مكاني...[٥]

(٤) إشارة إلى اعتزازه بإسلامه وعدم انخداعه بالغرب والتزامه برسالة إصلاحية تستمد مقوماتها من عطاء الحضارة الإسلامية ورموزها.

(٥) القمر هنا رمز لما يسميه (سزائي قراقوج) بالإحياء الإسلامي الذي ينظر له في كل كتاباته
=

ما أنشده لا يوجد في هذا الوطن...
فالأحجار زاد سوادها...
حتى استحالت كتابة الخواطر...

=

الفكرية والأدبية، ويرمز له في شعره بعدة رموز، منها القمر والوردة، ويرمز للمبشرين به بالخضر وطه والمهدي.

(٢)

يا أيها الشيوخ العظام، ذوو العمائم الخضر...
كلا.. لم تقولوا لي شيئا عن هذا...
لم تقولوا لي شيئا عن هذا الرقص الهمجي...
لم تقولوا لي شيئا عن زمن أتيته...
نالت فيه المرأة السيادة، فذاقت وبال الشقاوة...
لم تقولوا لي شيئا عن زمن أتيته...
يتذلل فيه الأمير للناس من أجل الإمارة...
ثم يقيم سياسته على القهر والمهانة...
لم تذكروا لي هذا...
حلق الناس في السماء، لكنهم ماتوا على الأرض...
لم تذكروا لي هذا...[٦]
أخي إبراهيم علمني،
كيف أهدم أصنام المرمر...
فما مر يوم دون أن أهدم واحدا منها...
لكنه لم يعلمني كيف أمحو ما في
البيانات والكلمات والأوراق...[٧]

---

(٦) يشير الشاعر إلى الفوضى التي عمت حاضر العالم الإسلامي حيث بدل الذي هو أدنى بالذي هو خير. وهو حاضر يتنافى مع ماضي الأمة الإسلامية العظيم والذي يرمز إليه الشاعر هنا بالعلماء العظام.

(٧) يقصد أن الأصنام الآن لم تعد هياكل منحوته كتلك التي هدمها إبراهيم عليه السلام، بل تحولت إلى وجود معنوي له سلطان على العقول والقلوب، مشيرا بذلك إلى التحول الثقافي نحو الغرب.

ها قد خرجت من المدينة...
كان الناس يحرقون القمح،
ويأكلون الأرز،
ويتكاثرون كالأرز...
لم أحبب إلا خيولهم... لم أحبب إلا خيولهم،
فقبلت أعرافها ومضيت...(٨)

(٨) إشارة إلى العماء والتخبط الذي يعيشه مسلمو هذا العصر؛ إنهم سفهاء يحرقون القمح في السنوات العجاف ولا يدخرونه كما نصح بذلك يوسف الصديق ﷺ وهو رمز لتبديدهم القوة والمنعة لديهم. وهو يسخر منهم ويرى خيولهم أولى بالحب منهم.

(٣)

لا يذكرني اليوم إلا الوالدات؛
مخافة أن تخطف أطفالهن السارقات...[٩]
أكلتُ تفاحهم مغاضبا،
وبذرت في ريحهم بذرة القروح...
هذا هو ميراثي،
ورثته للمقروحين في العالم...
إنهم أولادي...
سيجمعونه وهم لا يعلمون...
وسيقرؤون أوراقي،
ويحملون في أيديهم،
ورود الحمى...
وفي قلوبهم
بثور التيفود...
ولن يقربوا النساء...[١٠]
هم أطباء البحار،
يداوون جراحها...

(٩) في لقاء مع الشاعر بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٨٥م، أفاد بأنه قصد بهذا المعنى الإشارة إلى عادة شعبية موجودة في قرى الأناضول، حيث تعوذ النسوة أولادهن الذكور عند الوضع بذكر اسم الخضر؛ اعتقادا منهن بأن ذلك يمنع جنيات سارقات من خطفهم.

(١٠) يرتدي الشاعر هنا رداء الثوري الذي يدعو للغضب والثورة، كما تجدر الإشارة إلى أن وصفه لأتباعه بأنهم لا يقربون النساء ينطبق عليه هو ذاته حيث ناهز السبعين ولم يتزوج بعد.

ويخطفون أرواح الشهداء في المعارك...
إن ما لم تعلموه لي يا أيها الأجلاء،
تعلمته من الزمان،
ومن العرجون القديم،
ومن البترول المكرر،
ومن ناقة تفتش عن رضيعها،
ومن رايات دفينة حرقت أنصافها،
ومن معابر حجرية مهدومة،
ومن حانة خربة...
إن ما لم تعلموه لي يا أيها الأجلاء،
علمته أنا للقمر المشقوق.[١١]
ولسورة الشباب...
وللمقهورين البائسين الحزانى...
وللوليد في قماطه،
وللخلنج، والوعل، والطريق...

(١١) انشقاق القمر من بشائر الإحياء الإسلامي عنده.

(٤)

أقابل السيئة بالحسنة،
هذا هو الجزاء...
فأنا لست غافلا، متعنتا؛
حتى أقابل الحسنة بالحسنة، والسيئة بالسيئة...[١٢]
في مدينة صالحة...
كان مسلمان يصليان في المسجد
متلاصقين كالبنيان المرصوص.
فمرقتُ من بينهما وما انتبها !...
وكان إمام يلقي الخطبة،
فخلطتُ كلامه بكلمة واحدة؛
اجل... كلمة واحدة...
فارتعد بعض نفر،
وشعر الآخرون بالعطش...
وما كادوا يصلون، حتى تزاحموا على الماء...
فجاء الماء متغيرا ممرورا...
وحين رأوا أطفالهم،
سكتت أصداء النهر الداخلي...[١٣]

---

(١٢) إشارة إلى ما ورد في سورة الكهف عن إقامة العبد الصالح للجدار الذي كان يريد أن ينقض في القرية التي رفض أهلها أن يضيفوه هو وموسى . فكأنه بذلك قابل السيئة بالحسنة.

(١٣) إشارة إلى سطحية الاعتقاد. والخواء الروحي عند المسلمين في هذا العمر.

(٥)

تقـــريـــر

أنا الخضر.. في يوم ما.. في ساعة ما.. في موضع ما
فتشت...
كانت الأم بريئة، وماتت...
كان الأب بريئا، وكالتين العطن مفثوداً...
كان الابن بريئا
حتى ابتلي بالصرع !..
وكان الناس أبرياء،
كالورود النضرة...
وكنت أنا الأثم !...
تأخرت !...
فخرج كابوس المنزل المفزع إلى الشرفات...[١٤]
وكان جاري لم يعرف بعد، التعبد في البيت...[١٥]
تأخرت !!...
لأني اعتكفت مائتي عام بعيدا عن عالم الناس...
التوقيع : الخضر
لا يوجد طابع
التاريخ : بعد سد الصين بـ ٥٠٠٠ سنة
كل الشهداء أولادي.

---

(١٤) تلوح هنا شخصية المصلح الملتزم بقضايا أمته، فهو يلوم نفسه؛ لأنه تقاعس مدة عن الحركة ومواجهة الفساد حتى استشرى الباطل.

(١٥) إشارة إلى القيود التي فرضتها الحكومة التركية في وقت ما على حرية العبادة في المساجد؛ مما اضطر الناس إلى هجر المساجد والعبادة في البيوت.

(٦)

في صناعة الورق،
نظام متخلف مدهش؛
بردي،
ومرمر،
وآجر،
وجلد غزال،
وحرير،
وقماش،
وحطب،
وتبن،
ونخالة.[١٦]

---

(١٦) هذه قصيدة رمزية، رغم ما يبدو فيها من سطحية وسذاجة؛ فهي تجسيد لواقع التخليط والتلفيق الحضاري الذي يعيشه العالم الإسلامي، ويشبه الشاعر هذا التخليط بصناعة الورق التي يخلط فيها الغث بالسمين.

(٧)

استمعتُ اليوم لتحاور طفلين؛
كان أحدهما يصفني للآخر، ويقول :
ملامح الخضر عميقة،
عيناه في الظلام مثل ومضة في الماء...
وحين يكشف عن ساعده الأيمن،
في السحر، يتبدى كنخلة فرعاء...
وساعده الأيسر، ليلة شتاء ظلماء...
عمره دائما... ثلاث وستون سنة...[١٧]
وجهه وحي يتنزل الآن...
تسعى دوما بين يديه سورة (الرحمن)
ويخفق قلبه دوما بـ (يس)
وفي أذنيه زلزال الآيات الأولى...
رأيتُ الخضر يا صديقي...[١٨]
كان يجمع الزيتون للأولياء...
حديثه : أدعية الهند...
خوفه : رعشة طفل...

---

(١٧) هو نفس عمر رسول الله ﷺ.

(١٨) من الناس من يعتقد أن الخضر يظهر لبعض الناس. وقد روى محي الدين بن عربي أنه التقاه مرتين: إحداهما بسوق الحنة بإشبيلية، والثانية في مركب البحر.

محيى الدين بن عربي: لطائف الأسرار، تحقيق أحمد زكي عطية، وطه عبد الباقي سرور، ص١٧، ١٨، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦١.

وهو الذي يُصَرِّف رياح الجبل...
وطعامه : نشور وردة...[١٩]

(١٩) نشور الوردة يعني تحقق الإحياء الإسلامي.

(٨)

محاوراتي...
كنقوش الصين...
يسجل الناس أقوالي،
إلا نداءاتى لهم، يعرضون عنها...
كلماتي لا يدركها إلا...
من يشعرون بو جيب قلب الحجر...[٢٠]
لأن الصخور هي دفاتر تقويمي.
يشهد القمر أني،
يا طالما كفنت الأرامل...
ويا طالما نزلت سوق النخاسة،
وأعتقت عبيدا تباع،
وعند الشراء، أغمضت الطرف من الالتياع...
ويا طالما مزقت شباك الصائدين،
وقطعت الأحبال في ساحة الإعدام...
ويا طالما اسقطت سنينا،
من حساب التقويم...
وسبحت مسافات،
في حفل القربان...
ويا طالما، أنقذت أطفالا،

---

(٢٠) يسجل الشاعر هنا العقبة التي تعترض طريق دعوته والمتمثلة في إعراض الناس عنها؛ لأن الطور التغريبي الجديد صرفهم عن الالتفات إليها.

من وباء الظلم،

ومن سراب،

ذباب الكتاب...[٢١]

قال لي ذو الكفل :

قَدِّم الماء، وأقدم أنا الطعام،

قدم الروح، وأقدم أنا الدم،

اصرخْ في الأحياء، وأصرخ أنا في الشهداء...

اهبطْ إلى الوديان، وأمكث أنا فوق الجبال...

يا لها من شركة طيبة !...

قال لي ذو الكفل :

الوالدات مني،

ودعاء الأم مني،

وتحت الأرض صوتي،

والبيت خزانتي الخاصة...

هيا اهبط إلى حقول الكرز،

واسمع صداه،

وفتش فيه عن البحر،

وألِّف بين الكرز والموت،

والكلب والتخت،

والقدح والعربة !.

وفتش عن العلم،

---

(٢١) يحدد الشاعر هنا بعض المهام الاجتماعية والفكرية الملقاة على عاتق من يتصدى للدعوة والإصلاح.

في الرقع المخبوءة في المغارات،
وفلسفة اليام يام
وورم اللوزتين...[٢٢]
يا خضر... يا خضر... العامل؛
كالملائكة...
هذا كتابي وحسب...
سطوري قليلة...
ليس لي صنم...
الربيع بشارتك،
والخريف خليفتي،
والصيف لعيسى،
والشتاء ليحيى.
الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء
أنا، وأنت، وعيسى، ويحيى
خلقنا...
من أجل إحياء وردة،
والحمد لله...[٢٣]

---

(٢٢) يريد أن يقول إن داعية الإحياء الإسلامي ينبغي له أن يتمتع بالقدرة على التوفيق بين النقائض، فلا يقف أمام مستحدثات العصر ومتناقضاته عاجزا.

(٢٣) واضح أن الإحياء الإسلامي الذي ينظر له الشاعر، يتمتع بالفهم الصحيح لجوهر الإسلام كدين واحد لا فرق فيه بين أحد من رسله؛ فكلهم مكلف من قبل الحق عز وجل بدعوة قومه إلى الإسلام، وكلف النبي الخاتم ﷺ بتوجيه الدعوة للناس كافة.

(٩)

إذا كان الإنسان سيبعث بعد الموت،
فإني بعثت هكذا، قبل الموت.
كم مشيت، يظللني قوس قزح...
وكم شاهدت المجرة وأنا صبي...
حتى عقارب الصيف، محتوم عليها أن ترى المجرة...
ويا طالما أكلت رمان ضحى الشرق،
المتشقق في أشهر الصيف،
وقيدت جواد العرس المنطلق،
لحمل العروس ليلة الزفاف.
كان رعاة الزمان يجوسون خلال مروج الربيع...
وكان ماء الحياة منطلقا، يجتاح الزمان.[٢٤]
وجبريل العليم بماء الحياة،
كان يدنو مني ويضمني...
وكانت أحاديث الناس في الظلام البعيد،
تذكرني بالحشرات الثرثارة.
وأحيانا ينبعث صوت :إليَّ بكأس...
وتندلع النيران في الجبال،
وتتصاعد روائح الأضاحي،

---

(٢٤) تذهب المناقب والأساطير التركية إلى أن الخضر خرج مع ذي القرنين؛ بحثا عن ماء الحياة في بحر الظلمات، فعثر عليه الخضر، ووجده أبيض من اللبن وأحلى من العسل واغتسل فيه فاكتسب الخلود.

Türk dili ve Edebiyatı Ansiklopedisi. 4. cilt. s.219. Dergah yayınları. ist. 1981.

وتمر قبائل (قاف) بجلبتها،
وتروي أجراس البغال،
ملحمة القواعد من النساء المسمومات.
من لبن التين الأسود، وثماره،
في طبق فضي مسطوح على مائدة الإفطار...
مائدة مزدانة،
بشكاية أب، أثقلته الديون.
وحديث الجيران تحت مظلة يسمونها القمر،
وأشهى عنب، تركته السلحفاة...
تحاورتُ مع جبريل،
وأتحفني...
أتدرون ماذا كانت التحفة،
إنها تحفة مجمعة من منابع أنهار العالم
من زرقة دجلة،
وخضرة الفرات،
وسحاب النيل الرمادي.(٢٥)
كأنها توليفة ماء الحياة !.
يا لها من توليفة !.

---

(٢٥) يذهب بعض النقاد الأتراك إلى أن احتفاء قراقوچ في شعره بذكر المدن الواقعة في منطقة الأناضول والبلاد القريبة منها كبغداد ودمشق والقدس، يرجع إلى رغبته في إحياء قيم الأناضول الروحية، كما يذكر شاكر دجلة خان، وهو تفسير قومي لا يتفق ورؤية الشاعر الشاملة للحضارة الإسلامية.

Şakir Diclehan: Sanat Ve düşünce dünyasında Sezai Karakoç. S.s.18-32. piran Yayınları, ist. 1980.

نحن الخضر، ألف خضر...
نعرف منابع ماء الحياة في العالم...
تطهرنا صلاتنا، كمشاعل مضيئة،
نتلألأ في الصوم مع عيسى ومريم...
مزامير داود في مسامعنا،
وأصاحيح الإنجيل في رؤانا،
وممالك التوراة نصب أعيننا...
نمضي أمام فيلق ماء الحياة،
كقائد يمتطي صهوة جواد عربي أصيل...
نفتح البلاد،
ومعنا ألواح طور سيناء،
وجيش القرآن...

الطيور المهاجرة، تدل على ماء الحياة،
يهبط الأرض في الربيع،
ويهاجر إلى القمر في الشتاء...
إنه ضمادة الجرح في الشتاء،
وفي الصيف يملأ الجبال، والوديان خريره...

هو النبع الذي غسل فيه قميص يوسف،
وهو الذي فتح مصر،
وهو الذي ألان حديد داود،

وهو لسان النملة التي نطقت به،
وطار الهدهد من فوقه سبع مرات،
التغيير حدث عابر،
والثورة بالدم والصديد.
أما نحن فننتظر الإحياء،
ننتظر فورتك يا ماء الحياة...[٢٦]

(٢٦) يبدو الشاعر في هذه القصيدة متأثرا بالموروث الشعبي التركي، وما يروج فيه من أساطير عن الخضر وماء الحياة الذي اهتدى إليه. ويصور الشاعر ماء الحياة كأنه روح الوجود وصانع المعجزات. وينتظر أن يحقق معجزة الإحياء الإسلامي كحدث خالد سلمي.

(١٠)

رغم أني لم أر شعيبا...
فإني علمت موسى أسرار الأشياء، (٢٧)
وفلسفة الطهر والنقاء،
وحدثته عن الكلب... (٢٨)
وأعنت الفقير فهدمت جداره...
وخرقت سفينة البحار. (٢٩)
أليس رجالي هم الذين ينادون...
الأطفال العجزة في منتصف الليل...
فيقلدون أصوات أصدقائهم،
ويرتدون ثيابهم،
ويقودونهم إلى صحارى الجليد اللامتناهية،
(قِزل ألما) فكرة جنون العظمة،
طلاء إعدام للزنوج... (٣٠)

---

(٢٧) العلاقة بين شعيب ﷺ والخضر، هي أن شعيبا كان أستاذا لموسى ﷺ قبل نبوته، والخضر كان أستاذا له بعد نبوته، وقد علمه شعيب خبرة الحياة وتجاربها وعلمه الخضر العلم اللدني.

(٢٨) يقصد كلب أهل الكهف.

(٢٩) يشير إلى ما ورد في سورة الكهف عن إقامة الخضر لجدار الغلامين اليتيمين الذي كان يريد أن ينقض، ولعله يقصد بقوله (فهدمت جداره) أنه هدمه ليبنيه.

(٣٠) (قِزل ألما) أو التفاحة الحمراء، أسطورة قديمة لها رواج بين الأتراك، يقصدون بها الإشادة بعظمة الجنس التركي وسيطرته على العالم. وخلاصة هذه الأسطورة أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين كان له تمثال في آيا صوفيا، يظهر فيه ممتطيا جواده وممسكا في إحدى يديه كرة حمراء؛ إشارة إلى هيمنته على العالم كله، فلما تحقق للأتراك العثمانيين فتح استانبول، وبسط نفوذهم =

النساء، بقع ضوء في السقف...
حدثت رامبو عن أكبر ضوء متجمع.
وعن القمل، والصوت،
بفكر ٤٠ تحت الصفر في آغرى،
و٤٠ فوق الصفر في كوسه داغ...[٣١]
وخرجت منطلقا عبر حقول البطيخ والرمان،
مع قبائل ذات مراجل كبيرة،
وقبائل ذات بطارق كبيرة، وبغل كبير...
قليلا مما يتكلمون.
ووقع حوافر البغال يدوي في الظهيرة...
ينطلقون مثل كتاب مقدس.
للرئيس وحده مظلة،
لا يحجب بها الشمس عنه.
بل تكون شارة علوه...
كنا جميعا في الأربعين،
يطن في رؤوسنا طنين نحلة...
مضينا نحمل،
أمرا منيرا، مبينا، نتكتمه...
كنا أقوياء... أشداء... لا نخاف...
كم من الأنهار عبرنا.

=
على معظم البلاد،استخدموا أسطورة التفاحة الحمراء، للتفاخر والعظمة، والشاعر هنا يمقتها.
Türk Dil Ve Edebiyatı Ansiklopedisi. 5. cilt. s. 345. Dergah Yayınları. ist. 1982.

(٣١) آغرى وكوسه داغ جبلان في تركيا.

ورأينا الهداهد فوق أشجار البلوط،
وشواهد القدماء على الصخور...
أحيانا يتقدم فارس،
ويتأخر آخر،
وتصدر الأوامر الجديدة سرا،
وترفرف فوقنا الرايات...
كنا أمة قد خلت،
وكان لنا نسر !...
عبرنا بلاد القردة،
وبلاد البشر،
وطفنا حول أسوار الملائكة،
وفي مدائنهم، وحول آبارهم...
كسرنا الأقداح راقصين فرحين...
غبَّر وجوهنا مرمرُها، فغدت كالسناج...
ثم عدنا مكدودين،
وتفرقنا بعد تلاوة القرآن؛
والنور عن يميننا وشمالنا...
وكأنما الصبح قد تنفس فجأة...
وكأنما بزغت أربعة أقمار، وأشرقت شمسان.
حينئذ، ظهرت العذارى...
كلهن كان اسمها مريم،
فتزوجناهن أبكارا...
ومضينا...

كيف أبوح
بالأسرار...[٣٢]

(٣٢) يقوم الخضر – قناع الشاعر – في هذه القصيدة بسياحة في الماضي، أراد أن يعكس من خلالها قوة الحضارة الإسلامية وعظمتها في العهود الماضية.

(١١)

العصر، بيعة مائي...
هو سيد اليوم، الذي قبَّلتُ يده...
العنزات نثرن الدر ومضين،
وخلفن نداءات سود...
دعابة للصغار،
وهم يخبرون الحياة...
كم من حمار تمرغ في الصيف،
فوق رمال شواطئ دجلة،
فأضحك الصبية،
وقرت عين الآباء...
ذاك الحمار، هو الشرق الأوسط، كل الشرق الأوسط...
قرأ الناس خطوط الأطفال المكتوبة على رقبته،
كأصوات لا تفهم لصغير يناغي أمه...
يعرف الحمار معنى حلاوة القدرة الكاذبة،
التي في أوراق البلوط...
وانطلق الحمار في عصر الخراف...[٣٣]
وطاف ذاك الميت الشهير بالمدينة؛...
فأفرغت الجفان في الشوارع سِحرا سريا...
ذاك الميت،راية امبراطورية غابت،

---

(٣٣) يحمل الشاعر هنا على الشرق الأوسط كله ويشبهه بحمار أضحوكة للصغار، يتخيل من غبائه أنه على شيء.

يوضع في متحف من طابق واحد،
وقمر غائر تحت الأرض،
يدهشه التكبير،
في مسجد دفين...[٣٤]

إني أنا الخضر،
محطم النواقيس،
وحجام الحمام...
منير الليالي بالنظرات العظام...
أنتظر في البيضة...
أنا حارس المقابر...
وصائد نار قافلة الحكماء،
في الحدائق،
وفي متنزهات (خضر اللز) [٣٥]
وحامل الغضب لغروب النهار...
أردُّ الشيخ شابا،
وأدحرج جبل الثلج،
وأقذف الصخر،
وأفتت الجبل...أنا مركز الزلزال،

---

(٣٤) إشارة للهزيمة الحضارية التي يعيشها المسلمون الآن.

(٣٥) في الأساطير التركية أن الخضر وإلياس التقيا مرة يوم ٦ مايو، ويطلق الأتراك على هذا اليوم (خضر اللز)، ويعتقدون أنه يوم مبارك ميمون، يدعون فيه بالشفاء للمرضى ويخرجون فيه للنزهة، وتكتب الفتيات فيه أسماءهن على ورق يقذفنه في الماء طلبا لتيسير الزواج.
Islam Ansiklopedisi: 5-I, s.403, Milli Eğitim Basımevi. Ist., 1977.

وخميرة الصاعقة،
ورائحة الخردل،
وصبر الجراد،
ووحي النحل،
ورفات الموتى،
وفراغ الحجرة،
وأول بيان للحروب العالمية
والمقبرة الأخيرة...
أنا...
الخضر...

(١٢)

أيتها السيدة، سيهمسون لك : بشراك !
وستلجأين إلى جزع النخلة، كحبلى في المخاض.
خليط العسل والجراد، يتصاعد من الصحراء.
بحداء حار يلهب أحاسيس العير.
أيتها السيدة، سيهمسون لك : بشراك !

أضناك غسل الملابس في شاطئ النهر،
تعلمت ما تعلمته من الماء المتناغم،
الذي يقتحم المغارة، والضوء الساطع من الشمس.. بشراك
هؤلاء العلماء ذو الملابس الرثة مجهولو الأعمار،
عرفوا شتى لغات الأجيال القديمة،
أما أنت فما استطعت أن تتكلمي كلمة واحدة عبر السنين،
تحادثت الجمادات،
والماء مع النخيل،
والقمر مع العنزة والشاه،
بحسبك أنك تحدثت مع الجنين في أحشائك
فاصبحت كل اللغات في يمينك؛
أقدم عبرانية مندثرة،
والحيثية والحميرية.
ثم انفضت الوليمة، واختلفت الألسن،
وأصبح ما في أحشائك مضغة كالرمانة،

هنالك جاءت الكلمة التي ولدت الطفل،
وجاء المسيح الذي عرف الكلام قبل الميلاد؛
بطلا، تحدث معك قبل أن يولد،
جاء كشعاع الفجر، بعد شتاء طويل،
جاء كأول كلمة، بعد صمت طويل،
جاء بطلا...
بشراك أيتها السيدة التي استقبلت،
تلك المدينة المتراكمة فوق قمة جبل...
كصحائف استعراض رسمي في يوم قائظ،
تتأهب لمواجهتك
بعداوة خرقاء،
فبشراك... أيتها السيدة التي أنجبت كلمة.

بشراك أيتها السيدة المحظوظة، صاحبة الصدى،
أيتها السيدة التي حملت من كلمة ملك...
حملت من وجع الفراق...
تستطيعين الآن الخروج في ظهيرة تموز،
لكنك نذرت صوما،
في يوم تشتد فيه الحاجة إلى الكلمة،
وتجلى معدنك في مرآة البئر المقدسة،
وفي زحام طاغ كغابة كثيفة...
كنت ستقولين للملأ كلامك العظيم،
لكنك نذرت لصوم الميلاد،

وتركت الإشارة فقط طليقة.

ثم جاء الغلام،
وسكن الماء،
فبشراك...

ها قد أصبح مرمر مكتبة هدر يانوس
عينا لكتاب الضحى المشرق،
ولألفباء المعجزة،
في مسافات الظل،
وأطباق الفضة،
ولمهارة زوجات الجار في نقاوة الأرز،
والقمر يفرق في غسق الزيتون،
أمام البيوت.
فبشراك في الغسق ![٣٦]

---

(٣٦) يستخدم الشاعر رمز السيدة مريم، معادلا موضوعيا للأمة الإسلامية المتهمة في صميم كيانها الحضاري في هذا العصر والعاجزة عن الدفاع عن نفسها. وتبرئة المسيح ﷺ وهو وليد لأمه، مؤول على أن فجر خلاص هذه الأمة سيكون في المستقبل، على يد الأجيال القادمة، ولهذا يردد الشاعر كثيرا قوله (بطن الأم وثيقة المستقبل).

(١٣)

هل قابلتُ إلياس،
حين كانت البيضة على وشك الانفلاق،
والمراعي تقرع، كما النواقيس،
دون أن نلعب الحجلة، أو بقطع الفلين،
والماء يكتسح آخر ثلوج الجبل
ناديتُ يا إلياس،
يا صديقي، يا صاحب أرق اسم...
هل سنطلق الحمامة إلى الشرق للمرة الأولى،
الشرق وطنك الأم...
هل شاقتك أوراق الكرم...
أتفزعك أصوات داخل العظام...
ألم تقرأ وثيقة الجن المجهولة التاريخ،
التي تنادي على شباط،
وعليك، وعلى أيوب وذي الكفل، ويوشع،
وأذيال ثياب الغيب الطاهرة عند شيث،
ونحلة الجبل التي تعرفت على يحيى،
ترى... يكون لي ارتعاشها من جديد...

فنحن يا إلياس...لم نحسن وفادة الضيف،
فانطلق التاجر قبل تنفس الصبح،
لم نتقن إرسال الإشارة،

لم نغير الحارس في الوقت المناسب،
وصغير الجواد... لم يشبه أباه...
لأننا عشقنا أكل المصران...(٣٧)

إسرائيل عاشت دهرا تضرب في الظلمات،
فعرفت الذهب ذهبا،
والفضة فضة،
ولم تعرف الرسول رسولا.
ثم جاء عيسى،
ولِد غلاما وتكلم،
ثم كبر وتكلم.
أنت عرفت كل هذه الأشياء، وأنا عرفتها،
لكن الشرق ركام... ركام... ركام !

قال الراعي
بعربية أعرق قبيلة عربية :
أوصيكم بالحليب،
فهو هدية أحكم عنزة،
هو عطاء يتضاعف من صوم إلى صوم...
لكنها انطلقت في شعاب الجبال،
حين رأت القمر محاقا...(٣٨)

---

(٣٧) يشير الشاعر هنا إلى بعض نقاط الضعف في كيان الأمة الإسلامية، كالعجز عن التطور الفعال مع العصر، والركون إلى الخمول والكسل.

(٣٨) الراعي والعنزة والشاه والحليب من رموز البداوة التي يوظفها الشاعر للتعبير عن الأصالة،
=

وفي غسق الصباح،
ذهب الراعي إلى مرتع شاه مريضة
ظل ساهرا، لم يخفت مصباحه،
كصبر إلياس.

آه... كم ذا طال احتراقي معك يا إلياس،
في خيالات الحليب.
استيقظنا،
وسرى الدفء فينا،
لكن... ماذا دهى عيوننا... لا أدري...

يا صديقي المأخوذ اسمه
من غثاء المحيط
وانعكاس صوت يونس على المرايا.

أيها الإنسان الميت،
فلنحي ذكرى اللون الأخضر،
قبل أن يغطي الأرض الدم الأحمر،
ولنبشر بالربيع،
لكل العالم،
ولموطن الصبر...
ولكل طفل مسلم،

= والعودة إلى ما كان عليه حال المسلمين في صدر الدولة الإسلامية، واختفاء العنزة في مغاور الجبال حين رأت القمر محاقا، كناية عن فساد الحاضر.

كعلاج روحي ناجع.(٣٩)

---

(٣٩) صفة الموت المطلقة على الإنسان هنا يقصد بها موت الروح الخلاق، الطامح إلى المثل العليا داخل الإنسان. وهو معنى يكثر وروده في الشعر المعاصر حيث يصور الإنسان على أنه مخلوق آلي يتحرك ويتكاثر في حياة مادية خاوية من الروح والحياة الحقيقية، ولنقرأ في ذلك قصيدة (يوميات الصوفي بشر الحافي) لصلاح عبد الصبور وقوله في (مأساة الحلاج) :

في عصر ملتاث، قاس، وضنين
لن يصنع ربي خارقة أو معجزة كي ينقذ
جيلا من هلكى
قد ماتوا قبل الموت.

- صلاح عبد الصبور : مأساة الحلاج، منشورات اقرأ ص٣٢، د. ت. ويوضح الشاعر بعد ذلك أن دعوته إلى الإحياء الإسلامي قائمة على السلام والمحبة لكل الناس عامة وللأمة الإسلامية خاصة.

(١٤)

أنا عروس كفن الشتاء،
من غابة الصنوبر الحية الميتة.
تخلصت من عزلة الكرمة، الموجودة في حبات العنب.
إني صحراء متقدة،
دوى فيها صوت إنسان ولد كبيرا،
ثم تصاغر فجأة وتلاشى،
في تلال الرمال.[٤٠]
من أتاني وعاد إلي، هو الشهيد.
وكم من مسجد لا يُعرف بانيه.
وعموما فإني أنقش منارات السماء،
ورغم كثرة علمي، وضيق وقتي،
ورغم تزاحم شواغلي،
لم ألجأ إلى العزلة كثيرا.

الخضر يرقب المدينة من قمة الجبل؛
ليس سواه من يجيد هذا،
فهو أميرها... حصور، ومن النساء نفور.
يبارك كل ليلة، ينبوعها جديدا.
كلا...أنا لست فقيرا دائما... بل غني أحيانا.[٤١]

---

(٤٠) إشارة إلى فجر الحضارة الإسلامية ومغربها.

(٤١) المتكلم هنا هو الشاعر.

أنا في منبع الماء،
وفي رائحة الوردة،
وفي عرق التفاحة،
وفي الشفق، والنوم واليقظة،
أنا مأذنة شاهقة
تضيء وتنطفئ.
وفي الهيجاء، في الحومة
للجرح ضمادة.
أنا جندي حر؛
فالأسر في قلبي فقط،
أنا لست دما، فأنا ما وراء الدم أيضا.
حر... لكني لست وحيدا.
أيتها المكعبات الإنسانية !
أنا لست بعيدا عنكم،
أنا أشعة إلياس تحت الحمراء،
وأشعتكم تحت الزرقاء.
أنا في الليل صلاة،
وفي الصبح آذان،
وأكثر نزهتي مع الديكة.

(١٥)

كنت عاملا لنوح ،
أقضي يومي بين الألواح ،
فإن تعثر على لوح من سفينة نوح ،
بداخله كنز من ذهب ، فإياك يعني ،
ذهب مختوم بخاتم نوح ،
بأقدم خط في الدنيا ،
عتيق لكنه نقي .. عتيق لكنه حي ،
عتيق لكنه يبهر الإنسان بجماله ،
أنا كاتب سر إبراهيم ،
وبشارة يعقوب ،
وصديق يوسف في السجن ،
ومعلم تفسير الأحلام ،
لكني ما رأيت تلميذا هماما ،
كأنه شلال من سيوف النور ،
كموسى ، [٤٢]
لو لم أكن علمت الفقير الخلاص بهدم جداره ،
هل كان يستطيع موسى ،
الخروج ببني إسرائيل من مصر ،
لو لم أكن خرقت سفينة زهو الفقير ،
هل كان يستطيع موسى أن يجاوز ببني إسرائيل البحر ،

(٤٢) هنا تتلاشى حدود الزمن ويسري في القصيدة روح الزمن الكلي .

وبضربة واحدة هل كان يستطيع أن يفجر
عشرة عيون من الصخر الجلمود ،
لو لم أكن قتلت الغلام بقسوة ،
أمام عيني موسى ،
أكان البحر الجاف من برهة ،
يستطيع أن يغرق فرعون ،
قاتل كل الأطفال الأبرياء ؟! (٤٣)

....

إن كان شعيب قد علم موسى الرعي،
فأنا علمته الطريق ، والجبل ، والمرعى ،
إن كان شعيب قد دله على الكلب ،
فأنا هديته إلى الذئب ،
وسامرته على القهوة بالليل ،
إن صلى معه في الصباح ،
فقد ابتهل معي في المساء ،
إن علمه حب الله ،
فأنا علمته مخافته ،
لكني ضعت في المساء ،
وانطلق هو في النور ،
« وجاء الأربعون والسبعة ،
فأخذوني وانطلقوا بي ،

(٤٣) يستخلص الشاعر من قصة موسى ﷺ مع الخضر أن الإحياء الإسلامي الذي يدعو إليه، قد يلجأ إلى القوة من أجل إعادة البناء، لكنها قوة مبصرة راشدة تهدم لتبني وتغرق لتنجي، وتقتل لتحيي .

وجاسوا بي خلال الديار ،

ثم أعادوني ، » (٤٤)

لو قال عني موسى ذلك لكان صادقا .

(٤٤) يذهب المتصوفة وبخاصة البكتاشية إلى القول بوجود ما يسمونه «رجال الغيب» يترأسهم «قطب» ويليه إمامان وأربعة أوتاد وسبعة أبدال والأربعون النجباء ثم الثلاثمائة الفقهاء ومهمة «الأربعون» هي مساعدة الناس في قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم، ويعتقد المتصوفة أيضا أن «الأربعون» يمثلون قلب «موسى» ﷺ، وأن الأربعين ليلة التي واعده الله عز وجل فيها، إشارة إلى «الأربعون النجباء»..

ويعتبر «ابن عربي» أول من فصل القول في أمر هؤلاء «الأربعون» في كتاب «الفتوحات المكية» كما احتفى البكتاشية كثيرا برجال الغيب وكثر ذكرهم في أدبهم ويطلقون على ساحة الذكر والسماع عندهم «ساحة الأربعين»

Türk Dili Ve Edebiyatı Ansiklopedisi.5.cilt.S.327.Dergah Yayınları. ist.1982.

(١٦)

إن لم تقتل العقرب التي تمص السكر ،
ستصنع من السكر سما !
اِعلمْ هذا جيدا من أجل الأطفال ،
ولقنه درسا للطفل الذي قتلته ،
ليقتل كل صيف آلاف العقارب في الحدائق ،
حماية للأطفال الخارجين للنزهة ،
ولسوف يتفتح البنفسج في أكمامه ،
للمدن المتأخر ربيعها . (٤٥)
في عيد الأضحى ، يوقظ الناس ضحى ،
وتشعل المصابيح ، ويؤتى بالخراف ،
قبل نور الجبل .
الأضحية تسمع شحذ السكين .. قبل صياح الديكة .
أيها الليل الطويل ، انقشع !
أعمق الأعياد عندي هو عيد الأضحى .. ما أحكمه !
تقطع فيه الخراف .
المسافات ،
والأيام ،

---

(٤٥) يؤكد الشاعر مرة أخرى على تبرير استخدام القوة في مرحلة من مراحل الإحياء الإسلامي عنده باعتبارها قوة راشدة لابد من وجودها لمساندة دعوة الحق، ويمثل لذلك بمن يقتل عقربا ترصد في الحدائق للأطفال الخارجين للنزهة، فهو قاتل لكنه قاتل للشر من أجل الحفاظ على قيم الخير.

والطرقات .. صباحا ،
وضحى ، وظهرا ، وعصرا ،
وفي الأماسي تعج بهم الصحراء ،
ويتزاحمون في الأسواق مكدودين ،
وقبل انطلاق المدفع ،
يمدون أعناقهم في انتظار الشروق ، وأمام البيوت ،
وأمام الصغار ،
يلتهمون من الأطفال آخر خضرة الدنيا ،
ويشربون آخر ماء كماء الحياة ،
لكأنهم من خشية الله ، طأطأوا أعناقهم !
ترى .. أدركوا سر الحياة قبلنا !
ترى .. ضحوا بأنفسهم من أجل نداء !
لكأنهم رأوا ما بعد الصوت قبل أن يموتوا !
فأرسلوا ثغاءهم في الجبال والوديان .
ألا أيها الليل ألا انقشع بقمرك ونجومك ..
قبل أن تنحر القرابين في قلوبنا ! .

(١٧)

العاصفة للوط !
شعري يمتد في المطر ،
وعيوني تفيء في المنبع ،
وطعامي يطهى في حمم البراكين ! .
أضيء في القمح ، وأظلم في التبن ،
صيفي في مدارات المجرة ،
وشتائي بين الصياد والفريسة ،
وربيعي بين البحار والسفينة ،
وخريفي بين الصياد والسمك .

ريح سام مرآة ظلي ،
وقوس قزح لباسي الحربي ،
شرابي أشربه في أكواب لا تكسر ؛
شرابي ريح الصبا .

الحوت ليونس ،
والسن والمشط له ،
والحديد والزبور والصوت والغضب لداود ،
وكذا الألم والصبر والجرح ،
وحرفة أيوب فن مقاومة الجرح ،
وذو الكفل ؛
كفيل العائدين قبل تنفس الصباح ،
ويوشع أفضل من عرف حيل هؤلاء الناس ،

هذا هو الزمن الذي رعت فيه النار ،
في قلب الغنيمة ! .

إذا دخلتُ مدينة ،
أدخلها كمطر الربيع ،
مثل الجياد ، أصدقاء الريح ؛
أتعهد ورودها ،
وأطهر مياهها ،
وأرعى مرمرها ،
ونعوشها ،
وطعامها ،
وأقمصتها القذرة المحروقة ،
وأهدابها التي تشبه الخريف ،
وفراشات الربيع التي تطن ،
فوق أشجار البرقوق ،
وأرى ؛ هل غطى الكبريت حدائقها ؟
وهل دموع العين جص ؟! (٤٦)
السنبلة لي ،
والطفل وطني ،
وبطن الأم وثيقة المستقبل .(٤٧)

---

(٤٦) يريد الشاعر ليقول إن الإحياء الإسلامي الذي ينادي به لا يدع صغيرة ولا كبيرة من شئون الحياة إلا اهتم بها وأولاها رعايته وعنايته .

(٤٧) بدأ الشاعر قصيدته (ثورياً) فاستدعى عاصفة لوط ﷺ المهلكة، ولبس ثياب الحرب وأثار حمم البراكين وأنهاها (مصلحا) ينهج نهجاً تربوياً في تنشئة الأجيال وانتظار المستقبل . والواضح أن الشاعر في منهجه الإحيائي يجمع بين الثوري والمصلح .

(١٨)

تركتم الأيام ، وانشغلتم بالتقويم ،
كررتم الماء ، ولم تفجروا عيونه ،
وعبرتم الرؤيا للنبي ،
من شعر هاروت وماروت الأبكم ،
الماء يتدفق ثاقبا الصخور ،
كالأفعى اللامعة ،
ثم يرتد له خرير ،
كأنه جمل هائج ؛
يبحث عن عبد رباني
لا تكن رجلا يطلب الماء ؛
بل كن الرجل الذي فجره عيونا .
إن كنت شرقا ، ستشرق الشمس عليك ،
وإن كنت فجرا ، ستغرد الطيور لديك .
وستجلس على حافة البئر ، فإن وجدت حجرا أثريا ،
فلا تكن حفارا للقبور من الخارج ،
واحفر من الداخل .
لكل مصباح بئر ؛
يضيء بنور مجهول .
(بدر) لم تكن بغير بئر ،
ولم يكن ما سمعه سادات قريش وأذاعوه صوابا ،

قبل امتلاء بئر بدر .[48]

أيتها الساعات المتلألأة ،
التي تحاور الموتى ،
يا شرابا يتقطر في النعش ،
يا خمورا معتقة من المكوس القديمة ،
يا خمورا تكسر الأقداح ،
لقد أضحى اللصوص سمك البئر !!
وأضحت الصخور بابا للمغارة وجدارا !
وجدارا للبئر ودثارا ! ...
ومجانين العرب في هذا الزمان
يفتشون عن بئر تنبت
بالزيتون والرمان !! ...

(٤٨) إشارة إلى غزوة بدر أولى غزوات الرسول ﷺ .

(١٩)

الصباح يصفع
وجه الطفل ،
النائم في الحديقة ،
ويصبغ أهدابه بالحناء ، لكنه يعجز عن إيقاظه ،
وتوقظه الأم ، وزوجة الأب ! .
كذلك تعجز أنسام الورود ، وخرير الماء ،
والرطب ، وتغريد العصافير ،
والربيع عن إيقاظه ،
وتوقظه العنزة والشاه وبقرة البيت .
النافرات لمنح الحليب كل يوم !! ...
ها قد جمع الراعي قطيعه في ميدان السَّحر الواسع ،
وقدم له الطعام والراتب الشهري .
بعض القطيع عاجز ، مرتجف قلبه ،
معرض عما يمنحه الراعي
والقطيع يضرع بصوت خافت
يستمهله بعض الوقت .
الجبل مهيأ ،
متحرر من مبهرات النظر في الليل ،
سيغدو عاصمة للقطيع ؛
سيلملم القطيع أذياله في السحر ،
وخرقه العتيقة ...

وعرعره القروي ،
ونبقه البرتقالي ، حين يكون القمر محاقا ،
وسيطوف بأشجار البطم التي تسقينا القهوة في الحقول ،
دون أن ينتظر صغاره ، وضوضاء الأفق المثمر .

العنزة والشاه والبقرة ،
سيجمعن النهار في الجبل ،
والعلومَ الموروثة من جيل لجيل ،
وسيمضين الليالي ساعيات في البيوت ؛
فهن بردى الحقول ،
وصفحات الشعر الحريرية ،
يحفظنه في غرفة لا يتسرب إليها الماء ،
وعندما تشرق الشمس بعد ذلك ...
تشرق على وجه الصفحات ،
وعلى المراعي ، تارة أخرى ،
وتصبغني بلون (الخضر) ،
ثم ترى الشياه يغتسلن ويتناجين ،
ويستذكرن الصفحات ، بصوت القلب ؛
تقرأ إحداهن صفحتها على الأخرى ؛
لتثبيت العلوم ،
وحالما ينهض قطيع الغجر ،
يمضي في طريق الشمس ؛
ليلحق قطيعه الصغير بالقطيع الكبير .

عندئذ يتحرر من أعباء البيت ؛
ويبدد الضباب الكثيف ، بخوف وخجل وأمل ،
ويجني ثمرة تحاوره مع نفسه ،
ولسوف يعود الطفل إلى المدينة
أكثر سموا ونضجا وحداثة .
ثم يعود الراعي بالقطيع من الجبل ،
وينادي الطفل ، كأنه الربيع ،
ويمحو جفاف العنب الأسود ،
وينزلق النهار تحت قدميه ،
وتقيم ساعات المساء ،
البناء الجديد ،
من الشاه والعنزة والبقرة ،
والكلب ،
والحشرات المسحوقة بالأقدام .(٤٩)

(٤٩) نفهم من هذه القصيدة أن الشاعر أراد عن طريق التمثيل أن يبلور خلاصة مذهبه الإصلاحي الذي يهدف إلى العودة بالعالم الإسلامي (القطيع) إلى منابعه الروحية التي قامت عليها الجماعة الإسلامية الأولى، حيث الفطرة السليمة والبساطة والإيثار وجلاء العقيدة ورسوخها (الجبل، والشمس، والعنزة، والشاه، والبقرة) فلا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

(٢٠)

هل أخفيت الحجر تماما ؟
الحجر أخفى نفسه ! .[٥٠]
فماذا يضيء إذا في الداخل
عيوننا ! .
لكن ماذا ستقول المدينة عن ضياعنا المفاجئ ؟
ستكبر بيوتها ،
ويتجدد طلاؤها المتكلس ،
وتغلق أفرانها ، وتفتح أفراناً جديدة ،
وتحلب اللبن ،
وتلعق رغوته ،
وتقوم ثورة تجديد ،
لها قوام الخمر ،
ولسوف نُنسى فيها ! ...
ولسوف نُنسى فيها ! ...
كلا لن نُنسى ،
فسنُذْكَر
في انتخاب كل عضو ،
وفي موت كل طفل ،

---

(٥٠) لعل هذه المحاورة التي تعكس جدلية اليأس والتفاؤل بين الخضر (رمز التفاؤل) والشاعر (رمز التشاؤم)، تذكرنا بتلك المحاورة التي في قصيدة (مذكرات الصوفي بشر الحافي) لصلاح عبد الصبور في ديوان (أحلام الفارس القديم) .

وفي انفراجة كل صفحة ،
وفي إصدار كل كتاب ،
وفي عودة كل قطيع .
سنُذْكَر
في جفاف كل بئر ،
وفي كل مجاعة وبلية ،
وفي وميض البرق ،
وفي الرنين السماوي للكاتدرائية ،
وفي الزلزال المفتت للمرمر !
نحن لن نُنْسى في اكتشاف الكنوز .
فسنُذْكَر في ظهور كل لوحة من تحت الأرض
معرفة الحوامل لنا معرفة خاطئة ! ...
لكنهن يعرفننا ساعة الميلاد ؛
فنحن النور الذي يحيط بالوليد ،
نور لا يراه إلا الأمهات فقط ،
ويعرفن أنه نورنا ! .
في شهر شباط
يذكرنا الأطفال
وهم يتبعون الذنب الأغبر
كأنه مسمار مغروز في القلب ! .[٥١]
لكنهم لا يذكروننا

(٥١) يقصد بالذئب الأغبر (مصطفى كمال أتاتورك) الملقب عند الأتراك القوميين بالذئب الأغبر، كما ورد عن أسلافهم الشامانيين .

في انتخابات مجلس الشيوخ ،
ولا على المائدة أو في الوليمة ،
فأين نحن يا رفاق من الولائم ؟!
نحن فيها ضيوف ! ...
لكن لا محالة سيذكروننا ذات يوم ،
ولو في (مانستر) .
هاأنذا يا رفيقي أنثر ضياء عيني
على كدر زماننا ،
فأين الكلب ؟ (٥٢)
أجل أين الكلب ؟!
ليس الكلب بالداخل ولا بالخارج ؟
فلعله الصخرة ،
التي تفصل مغارتنا عن العالم ،
تفصلنا عن قيصر ومدينته .
لعله وثيقة حجاب زرادشت !
هو في الخارج وقت السَّحر ،
وفي الداخل وقت الشروق ،
هو في الخارج ساعة الميلاد ،
وفي الداخل ساعة وفاة الأب ،
وساعة الحرب .

(٥٢) يقصد كلب أهل الكهف الذي قام بدور الحارس لهم على باب المغارة، وهو رمز عند الشاعر للمصلح الحارس لهذه الأمة الموكول إليه أمر حمايتها ورعايتها، وهو كما يبدو في هذه القصيدة مفقود في هذا الزمن .

في الخارج عند توقيع معاهدة الصلح ،
وفي الداخل عند النزول في البحر ،
وفي الخارج عن الخروج منه ،
هو راع في الداخل ،
وقطيع في الخارج .
(صاح الجميع فجأة ... بخوف ورعدة وانتفاضة ...
كأنهم يرون عزرائيل ويسمعون إسرافيل ...) :
أين الكلب ؟!
يا رفاقي أدعوكم إلى نوم السَّحر ؛
فالكلب قد صنع من العظم ،
وجلده مخطوط فوقه صحائف ! .
وعندما تعثرون عليه ، ستعثرون علينا ،
فالعثور عليه يعني أننا سنعرف ،
ويعني أننا حصورون ،
ويعني أنه يحمي مغارتنا بالسيوف ،
وأنه سوف يغير العاصمة والعملة والفرن والنار ،(٥٣)
ويغير مصيرنا ،
وسيكون ساعة الصباح لأرضنا ،
سيكون الكب لنا ذات يوم ،
طفلنا العائد بعد غياب
بصوت عذب ،
ولغة دافئة ،

(٥٣) الإشارة واضحة إلى ضرورة تغيير حاضر العالم الإسلامي .

وريش رمادي ،
يتطهر من الرماد ،
الذي علق به من زمان ،
وسيحمل معه حسن العذارى ،
إلى الوديان ،
ويعود كبعير خاض في الصحراء ، شاديا ألف نغم
سيعود حاملا العاصمة القديمة معه .
وفي الظهيرة يطرق باب مغارتنا ؛
ليعيد إلينا الزمن المسروق ،
ويقدم لنا ،
أخضر ما في المراعي الأُنف ،
وستمنحنا يده ،
التوافق مع المستقبل ،
وسيلقن الأطفال أعظم درس عن نومنا ؛
نومنا قرين الخوف ،
فهو خلق جديد للحضارة .
فناموا في هدوء وسكينة !![٥٤]
فالبيضة لم تنضجها الشمس بعد !

---

(٥٤) واضح أن الخضر - رمز التفاؤل في القصيدة - يثق جيدا بالمستقبل ويشبه غفوة العالم الإسلامي المعاصر بغفوة أهل الكهف التي أعقبها صحو، كان دليلا عظيما على قدرة الله تعالى، لكن لا يفهم من دعوة الخضر إلى النوم إنها دعوة إلى السكون والضياع؛ فالمعنى هنا يراد به سكون الاحتماء الذي يمنح القوة لتكون الحركة بعد ذلك في الوقت المناسب بعد إعداد العدة اللازمة للمواجهة .

لتكون في شكل أحجار المعابد ،
وليل قادم من السماء والبحر ،
وعذارى ورود شاحبات .
ناموا ثم هبوا مستيقظين ،
فأناروا قلب البشرية ! .
دالت دول ، وظهرت أخرى وهم نيام .
والصخرة سدت باب المغارة ،
وعادت السنون كحجر الطاحونة ...
ما أشد الحاجة إلى نور الصباح ؛
من أجل أقدس حياة ؛
من أجل الأمل المفعم بالبشرى ،
من أجل العبقرية الفذة التي تعاين الرؤيا ،
من أجل الأيادي شهيدة الفداء ،
من أجل اللفات الجبلية ، التي ترقب المستقبل ؛
كالخضر وجوههم ، حمراء وخضراء ،
نام ضيوف مغارة الشباب .

(٢١)

توجه بالنداء إلى الساحل ،
وإلى الخليج مرسى الزوارق ؛
الذي يُذَكّر بنهر طيب وديع .
رغبت نفسك أن تجتاز الشتاء عجولا ،
وما كان ينبغي السفر ؛ لأنه مع الغرباء ،
الذين تلفهم الظلمات ،
ولأنه سفر إلى الجبال الثلجية ،
وأنت اكتويت بنار أشعة الشمس ،(٥٥)
وحدثت عن زجاج المدرسة الرائع ،
وما عجزوا عن قوله لأشجار الليلك
في مايو ،
وللزيتون في نيسان .
ونادِ هذه الربوة أن تنزل إلى الساحل ،
ولترو ما قصصته عليها للبحر ؛
ليعيد البحر حكايته لك ! ...
ليالي الشعر ،
تدوي في الأذن في محال بيع الحلوى الكبرى !
والنزهة في المدينة ،
وكوب من الماء يُمسك ، والمصور يلتقط الصورة ! ...

(٥٥) لعله يقصد بالسفر مع الغرباء إلى جبل الثلج، ذلك التوجه التقريبي الذي بدأ بتزايد مع منتصف القرن التاسع عشر حتى اقتلع المسلمين من جذورهم .

وسمكة تنفلت من بين الأصابع وتصفع الوجه بنورها ! ...
صوت عيسى وحضن مريم ،
وصدى يحيى الشهير الذي بداخلك ،
والأنفاق التي تشبه طرق العصور الوسطى الدافئة ،
والدنس ! .
دنس اللعبة القديمة المراوغة المزيفة ،
الحاوية بثناياها صنوفا من العقارب العجيبة !
أيتها الطبقات العليا ، يا ماعز الزمن المرتعد ،
ومركز الثقافة الفرنسية والصينية .
أصرخُ في الريح أن هبي ،
واحملي في حناياك همسا ...
واصرخُ في البحر أن ثر ،
وهات الربيع في زبدك ؛
وعجل به للنساء العقيمات ،
ليغتسلن في مائك ...
أصرخُ في المساء ،
أن دعِ الشباب ،
وأرحل مع اليأس ؛
ولتكن نهاية حياة النور
المستوحش من المصباح ...
أصرخُ في هؤلاء المسافرين ،
أن عودوا بالقطار الذي سافرتم به ،
فقط هبط من السماء ،

ذلك المعنى الأبدي الخالد ...
الشفاه أصبحت صخوراً جامدة ،
من الصمت ! ...
ومن بريق الفتيات المغتسلات في البحر ...
الصخور عطشى لزينة الألوان ، ...
كم ذا تحن للماء ! ...
الماء المتسرب عبر الرمل ،
أضحى فرنا هائلا ! ...
وأصرخُ في الأب الحزين ،
المتشوق لحلول بشائر الربيع ،
والمترقب لثورة الوردة ...
والأم المتحرقة شوقا للوردة .
من أجلك ...
أن غص في قاع البحر ،
وهات في يدك وثيقة عن مكان الوردة .
عرق الجياد لم يجف حتى الآن
في مرابض الخيل العتيقة ...
الطوابق السفلى في المصحات ،
وبطون القلاع ،
حرمت من الهواء ،
وهي تتحرق شوقا إليه ...
أشباح مرضى القلب البائسين ،
تحول حبهم وشبابهم إلى ثأر ؛

ثار من أجلك أنت ،
كتبوا عليه بحروف كبيرة :
(لن يستعمل في مكان آخر) ...
وأنت تجرجر لعنته ،
قبل أن تقرأ في كتاب ،
وقبل أن تعرف أن هذا الماء ...[٥٦]
أغزر من ماء الحياة ،
وأحلك من السواد
فخض فيه ، واغتسل ...
واسبح كالأسماك القديمة ،
واستخرج من قيعانه
درة ...
لأنك عاشق هذا الشباب ،
ونصائح حبيبك تدعوك لهذا الشقاء ،
وتقصيك عن نفسك ؛
لتصبح كالحداد ؛ تطرق الحديد ...
إنك تستطيع أن تشيد داخلك ،
(المدينة) ...
وادعها أن تغتسل في بحرك ؛
لينطلق الصوت من ساعة قلبك ؛[٥٧]
ولتعبد الصحراء وينتهي السفر ؛

---

(٥٦) لعل المراد بالماء هنا هو ماء الإسلام الذي يبعث الروح في حاضر العالم الإسلامي الميت .
(٥٧) كأنه يريد أن يقول : أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم أولا لتقام على الأرض بعد ذلك .

ولتتحقق أحلام النخيل ،
ولينطلق الجمل جذلا
كعروض (امرؤ القيس) ! ...
ثم ليجتمعوا على شاطئ هذا البحر الوديع ،
فكن أنت التلميذ المؤدب واستمع ؛
استمع ما دمت لم تصل بعد ؛
حتى تصبح وليا واصلا ...
وإن كانت كلمتك غير بالغة ،
فسوف تسمع من كلمتهم بالغة ...
وافهم كلمتهم ، فإنها المستقبل ،
القادم الذي يعم الشرق والغرب ...[٥٨]
سيأتي بعد الردى ،
كعين ماء في وقدة الظهيرة !
وسيأتي يوم تتلألأ فيه ،
المقبرة التي على شاطئ البحر ...
ولسوف تكبر مآذن
(أولو جامع) ، الصامتة

---

(٥٨) تجدر الإشارة إلى أن الشاعر يعتقد أنه إذا تحقق الإحياء الإسلامي للمسلمين، فإن نفعه لن يكون خاصا بالمسلمين بل يعم البشرية كلها .

(٢٢)

أية ليلة كانت ليلة العودة إلى البيت ،
وأنت تمتطي حمارك وتترنم ،
حتى تعجب القرويون من سعادتك !!
النجوم تحلقت حول مائدة سعيدة ؛
تتلاعق بملاعق فضية ...
وصدر البت تلألأ ...
وفجأة انقبض قلبك ،
كورقة تين متفضنة ؛
إذ رأيت أخاك الأرمد ،
وأمك الملتاعة ...
فأسقط في يدك كما الأطفال ...
والأمل لم يبرحك بعد ؛
بأنك قادر على علاجه أفضل من الطبيب ...
وأن تضع مكان عينه عين بدوي !!
لكن ، بم تمسح ذلك الرمد وقد طال به الأمد ؟!
وبأي شيء توقف الوباء النازل من السماء !
وبأي شيء تزيل الحمى التي تصيب البيض ؟![٥٩]
بإمكانك الآن أن تعرف الجواب مني ...
فبعد كم من السنين ،

---

(٥٩) هذا هو السؤال المطروح أمام كل المهتمين بأحوال المسلمين في العالم المعاصر : كيف السبيل إلى إصلاح هذا الواقع السقيم الفاسد ؟! .

سيصاب (أخوك) بالصمم ، وتتساقط أسنانه ! .
وسيأتي جنى لعين ،
يقتاد أخاك ،
وهو يمسك مصباحا كأنما يهديه الطريق ،
إلى صدى ماء الحياة ،
وإلى ساحل بحر الظلمات ،
وإلى عالم صغار النحل الوليدة ،
وإلى عشق الرمان ...
هنالك ، عليك أن تذكر تلك الطفولة ،
وأعياد الأضاحي الثلجية ،
وفطور العنب الجاف ،
ونداءات البيوت على الكرم ...
هنالك تذكر .
أنك قد تكون عثرت على الخلاص ،
وأبشر ،
إن وجدت في الناس ،
أثرا لذكرى الإخوان ...
قبل غروب النهار ،
وقبل شروق الشمس ،
وفي الظهيرة والماء .
وحين ترى ارتعاشة السمكة في مارس ،
واختلاجة النهار عند الغروب ،
والبحر ...

مثل طائر مخنوق ...
وانتفاضة الأم عند موت طفلها ،
واضطراب الطفل عند موت أمه ...
فارتعد ... ارتعد ! لأنك تجد الحياة بعد الموت ،
لأن حياتكم موت ...
الساعات المعطوبة تدق جيدا عند الموت ! ...
والشفاة الجافة يفتحها الموت ...
والعيون المغلقة يفتحها الموت ...
فالموت حياة للميت ،
والموت صلاح للأمر ...
فالنملة السوداء ...
في الحجر الأسود ...
في الليلة الظلماء ،
ترى شعاع الموت ...[٦٠]

---

(٦٠) لعل الشاعر يأخذ بفكرة الأطوار المتعاقبة للحضارات فالمنحنى البياني للحضارة يأخذ في التصاعد حتى يبلغ الذروة. وبعد ذلك يأخذ الخط في الهبوط حتى يصل مرحلة ما قبل الحضارة وقد يتجاوزه حتى تموت الحضارة. وهذا يعني بداية جديدة لبعث الحضارة بعد الموت.

(٢٣)

أنا الأعراف ...
لست الجنة ... ولا جهنم ... ولا الدنيا ...(٦١)
الجنة أن تتقدم أمامي قليلا ...
والنار أحجارها تركتها خلفي ...
والدنيا هي جهنم ...
الأعراف هي اقتراب الدنيا من الجنة ،
وامتداد الدنيا من الأعراف مثل (السن) !
فأنا اجتاز الأعراف فوق الأرض ،
مثل حفيف الشجر
العاصف ...
والأحجار تحملها القردة فوق ظهورها ...
تعال اسمع الكرمات العتيقة في الروضة ،
واكسر كأس العنب الغارق في الماء الثلجي ،
لصبية الحرف المقلوب ...(٦٢)
ماء الأضحية ،
يغلي في مبخرة عامل فظ ،
قبل أن يغسل وجهه بالبترول ...

---

(٦١) لعل الأعراف عند سزائي قراقوچ تعادل (المابين) عند صلاح عبد الصبور، وهي تعني اغترابا عن المكان .

(٦٢) يشير بذلك إلى تغيير الأبجدية التركية من الشكل العربي إلى الشكل اللاتيني وما نجم عنه من آثار ثقافية غير محمودة .

بندقية اللص ، تندس في أحشاء الغزالة ،
وفروسية الشرطة تترعرع في دم اللص ...
السيل يأخذنا ويلقينا من الجبل ،
ويصبغنا بالطين الأحمر ...
نحن دوما تحت عين العصابة ...(٦٣)
لكن سيهطل المطر علينا ...(٦٤)
نحن مدينون بحياتنا لهذا المطر المتساقط فجأة ،
لهذا المطر ، مروض الأسد
وجلادها ...
أحجارك هي التي خالطت عالم العرس ؛
وظلك ، أنت الذي أعطيته امتداده ...
ثم عدتَ إلى منزل النار ،
وأصبحتَ طعاما محروقا للقداحة المكسورة ...
الأم نزلت الدرج ملتاعة ،
أما وجه الأب الذي علم بموت حبيبه توا ،
فقد غارت ملامحه الغائرة ...
ولبس حذاءه الذي لم يخلعه ،
واختلط الوقت لديه ؛
إنه الفجر ... لكنه يشبه العصر ...
ذاك الصديق حائر حقا ...
فالخيوط التي صبغناها معا ،

---

(٦٣) لعله يقصد الحكومة التركية بكلمة عصابة .
(٦٤) المطر من رموز البعث والإحياء الإسلامي .

نقض غزلها ... لكن مثل من !
مثل زكريا ، أم مثل عيسى !
جال بخاطر الأب ...
أنه سيعود تارة أخرى من شاطئ دجلة ،
وعلى ظهره نفحات النهر الأولى للحقول ...
ذهاب كالإياب ! ...
يذهل له الأب ! ...
أتراه خاض في ماء آسن يسبح فيه الدود ! ...
نحو قرى النمل ، أو بلاد الجن ! ...
إلى ملك يسعى للخروج من داخل الخضر ...
إلى غدير في وطن ملك ينتظر طفلا وحليا ...
ينتظر من الاثنين إلى الأحد ...
ومن السبت إلى الجمعة ...
وحينما يعود إلى البيت ،
يلتف كهيكل طاهر القلب ،
متدثرا على ساحل الموت ...
وقد يسلم الروح ، وهو ينظر إليكم ،
لكنه يكمن في كل بيت فيه أطفال ...
أنت الذي فجرت كل هذا ؛
بغيابك عاما عن بيت أبيك ...
وحين تعود إلى القرية ،
يكون تفسير الحلم بأن السيادة بدأت ،
وأنك تستطيع أن تنجب جبلا ومرحا ! ...

وأنك جنيت وردة من قرحة ...
وأنك قادر على فداء الرمان والزئبق من الهلاك ...
وإنقاذ الضرير من حريق روما ...
وإخراج المسجد من الكاتدرائية ...
لعلك لم تر البحر ؛ ...
ساعة الغروب ...
ساعة أن تنحر الشمس كالأضحية ، ...
وهي منكمشة ...
جريحة مرتعشة فوق أشجار الصنوبر ...
الغربان كسرت الكأس ...
وللقلب وجيب ...
الراية ترفرف مرتعدة ،
فوق معابر أوربا القديمة ...
من وجعها ؛
تصبح البلاد المسكونة حديثا بالرجال ، هي الأعراف ...
وأضواؤها ،
فضية تنير في الجنة ...

(٢٤)

تتجاور الموائد ، مائدة بجانب مائدة ..
تتبادل النظر متقاربة ؛
هكذا تتنزل المائدة من السماء إلى الجبل ...
بالطعام اللازم للشاعرية .
وبشراب، ليس كمثله شراب..
من قمح استوى بغير ماء ولا أرض ولا سماء ! ..
المائدة المزدانة بالطعام ؛
هي مائدة بغير لحم ولا دم ؟
فمائدة بغير قطة ولا كلب ، ليست مائدة،
ومائدة بغير شواء ، ليست مائدة،
فالمائدة ؛ هي ماء الحياة المتدفق صوب صيد الخضر ..
وهي الإنسان القانع بكابوس ماء الحياة .. [٦٥]
كم ذا ظننت أن المائدة اليومية ،
التي كنت تفطر عليها في طفولتك، وأنت صائم في الخريف ..
هي المائدة ..
وظننت أن سحورك على دقات الطبول الشرقية ،
هو المائدة ..
لقد كانت ساعة البيت تشير دوما إلى المائدة ...

---

(٦٥) يشير الشاعر هنا إلى المائدة التي أنزلها الله عز وجل على المسيح وأتباعه لتكون لهم عيدا وآية. وقد ورد ذكرها في سورة المائدة، ويمكن تفسيرها في هذه القصيدة على أنها معادل موضوعي للإحياء الإسلامي المستمد من روح الدين.

فلعلها ألحقت بالموائد .
بعد قرآن العصر في زمن ما ! ..
ليس الشراب الذي يتحول إلى دم ، شرابا ؟
فشراب هذه المائدة يتحول إلى دعاء ..
وليس الخبز الذي يصبح جلدا ، غذاء ؟
فالخبز الذي أكل على هذه المائدة ، هو غذاء القلب ..
أما الزيتون فهو نور المائدة وإدامها ..
إنه غذاء إدريس وإسحق وشيث .
وظل إلياس .
ومساء يوسف ؟
المملوء بماء الحياة العتيق ..
ووعاء الماء الفضي ..
المخبوء في حمل بنيامين .. (٦٦)
وفراء شاة يعقوب ،
وأطلس إبراهيم ،
وعصا موسى الراعي ..
إنها مائدة السماء في هذا الحفل ؟
حفل عرس أو حداد ؟! ..
حفل قرية .
نأت عن مدينة كبيرة ..
وعاشت عصر البداوة ؟

---

(٦٦) إشارة إلى صواع الملك الذي أخفاه يوسف عليه السلام في رحل أخيه بنيامين؛ ليستبقيه معه. وليتعرف عليه إخوته بعد ذلك، ويحملوا قميصه إلى يعقوب عليه السلام ليرتد بصيراً.

حيث يصير منتصف الليل .
نداء سريا على المائدة ..
وصدى الحواريين الناطق من عيسى ،
ونداء مكة للزمن الآتي ؛
من أجل بناء مساجد الزمن الآتي
حتى يغتسل الزمن في محرابها ،
وتطلق النار على عبدة الأصنام ،
في معبد تتراقص واجهته ..
وتتلى هنالك أوراق جبريل .. [٦٧]
هنالك يكون القتال في حرب بدر ،
وترفع الرايات الخضر ،
وتنتصب الراية ،
ويصفق شرر الصخور ،
في غزوة الخندق ؛
فتلوح فيه ،
صور استانبول وروما .. [٦٨]
وطرر السلاطين ذات الرايات الخضر ،
والعسكر وقد تعروا من الأرض ،
ولبسوا الوشي ..
كأنما حولهم البرق إلى نار .

(٦٧) كناية عن القرآن الكريم .

(٦٨) إشارة إلى ما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وهم يحفرون الخندق بأنه سيكون لهم ملك كسرى وقيصر.

وخليج انبسط على الأرض !..
ثم جاء حديث الانفصال ..
فسكت عيسى ،
وسكت كل الحواريين ،
وسكت مائة وعشرون ألف صحابي ،
وسكت الزمن ،
وسكت ماء الحياة ...
وقدم الماء للصحابة الجرحى ..
وتوقفت نمال الأرض ..
وانقطع صوت العرش ..
وتوقفت الشمس فوق الجبال ،
وانتقل النخيل من واد إلى آخر ..
وسكتت الكتب الأربعة . ودوت ؛
«اللهم فاشهد !»
وظل الدوى وحده في الساحة ،
أما هم فكانوا مثلنا ،
من الشاهدين .. (٦٩)

(٦٩) تقدم القصيدة مقابلة موحية تقوم على التناقض الحاد بين مشرق حضارة المسلمين الزاهر العظيم ومغربها العاجز الراكد الذي تعيشه الآن .

(٢٥)

نحن في الشام ؛
مولانا ، والمثنوى ، [٧٠]
محيى الدين ، ويس ، [٧١]
شمس والفصوص .. [٧٢]
كيف غيَّر شمس ،
مولانا جلال الدين ...
وسقاه من حوض ماء الخلود ..
وكيف استطاع «يس» ذاك الفتى البطل ،
أن يشفي ابن عربي من مرض الموت ؟ ...
ومن كان ظهيرا للشمس والمطر والريح ،
التي أبدعت الفصوص والفتوحات في سماء مكة ؟

بحث عن شمس في أسواق الشام ولم يجده ..
وعلى قارعة الطريق ، تلك القارعة الأخرى ،

(٧٠) هو مولانا جلال الدين الرومي ، من أكبر شيوخ التصوف عند الفرس والترك ، وهو شيخ الطريقة المولوية ، وصاحب المثنوى المعنوي وديوان «شمس تبريز» وكتاب «فيه ما فيه» كانت وفاته بمدينة قونية عام ١٢٧٣م.

(٧١) هو الصوفي الكبير محيى الدين بن عربي ، صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية ، أما «يس» هذا الذي ذكر الشاعر أنه أنقذ ابن عربي من داء عضال ، فلم أتمكن من العثور على ذكر له في كتابات ابن عربي وبعض الدراسات المتعلقة به.

(٧٢) هو شمس تبريزي شيخ مولانا جلال الدين الرومي الذي جذبه إلى التصوف وأثر فيه تأثيرا معنويا كبيرا ، وقد ترك رحيله عن مدينة قونية أسى ولوعه في نفس جلال الدين .
Prof. Dr.Fuad Köprûlûitürk Edebiyatında ilk Mutasauvflar. S.220.9.8.Diyanet işleri Beskanlığı Yayınları Ankara.1981.

كان شمس يسأل ،

ومولانا يجيب ..

كانا متشاكلين ،

كأنهما إنسان يحاور نفسه

فلم يقل مولانا «نعم .. ولا»

كما قال محيى الدين لابن رشد .. (٧٣)

وقال له «نعم» في كل شيء

فتش مولانا عن شمس ،

في أسواق الشام ..

عثر عليه تارة ، وافتقده تارة أخرى ..

فشمس كان ماء الحياة له ..

خاطب مولانا ، محيى الدين في الشام ،

وسأله عن شمس ..

فلما فتح شمس ،

---

(٧٣) إشارة إلى اللقاء الذي كان بين ابن رشد وابن عربي ، الذي يقول عنه ابن عربي «دخلت يوما بقرطبة ، على قاضيها أبي الوليد ابن رشد ، وكان يرغب في لقائي .. فلما دخلت عليه ، قام من مكانه إليّ محبة وإعظاما ، فعانقني وقال لي : نعم ؟ فقلت له : .... نعم فزاد فرحه بي لفهمي عنه ، ثم استشعرت بما أفرحه من ذلك ، فقلت له : لا : ! ... فانقبض وتغير لونه. وشك فيما عنده وقال: كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي هل هو ما أعطاه النظر؟ قلت له : نعم ولا ، وبين نعم ولا تطير الأرواح .. » والمعروف أن ابن رشد كان يهدف في فلسفته إلى التوفيق بين الدين والفلسفة، وأراد أن يأخذ اعترافا من ابن عربي بأن العقل يلتقي بالروح في خاتمة المطاف ، فأجابه ابن عربي بنعم لأن العقل قد يهدى إلى الله ، ولا؛ لأن العقل ينحدر وينزلق ويضل في المتشابهات ..

- محيى الدين ابن عربي : لطائف الأسرار ص ١٣-١٤.

قبر محيى الدين ،
وجد نفسه يقرأ صفحات من كتاب الصبر ! ... (٧٤)

وفي ظهيرة يوم قائظ بالشام ..
والجراد يصطلي في الحر ،
شاهد الخضر جاثما على شاطئ البحر ؛
في ماء أحمر وأخضر ...
وشاهد شمس ، ووجد نفسه ! ..
لم يعثر مولانا على شمس في أسواق الشام ؟
لكنه أعطى المثنوى !

وأضحى إن حلق نسر في السماء ،
ووقع ظله على الأرض ،
ظنه ظل شمس ! ..

وإن انبعث من تحت الأرض ،
خرير الماء ،
ظنه صوت شمس ! ..

وإن وجد في رمل الصحارى ،
أثرا لقدم غضبى ،
ظنه أثر شمس ! ..

---

(٧٤) تتوفر في هذه القصيدة ، عناصر قصيدة القناع ، حيث تتداخل الأصوات ويتوارى الظل في الظل ، وتحل فيها روح الزمن الكلي ، ويتوحد الماضي والحاضر والمستقبل .

هكذا أبدع المثنوى ؛
ففراق شمس ،
كان ماء الحياة ،
الذي لامس الشفاه ،
ولم يدخل الفم .

(٢٦)

نحن في بغداد ،
نقف كالطيور الجارحة ...
حول إحدى المشانق
ترى نستطيع أن نقتنص ،
قطعة من لحم منصور الحلاج المعذب [(٧٥)]
أو من كبده المفتت ...
أو من قلبه الذي يرتل القرآن ...
أو نـحجب نور ،
عينيه البراقتين ! ...
كل نظرة منه إلينا ،
ترمينا بحجر ...[(٧٦)]
هل يمكن أن نقطف وردة ،
تفتحت في كفيه ؟
وجاء إلى هناك رجل ،
طعامه شركة دوما ...
وجاء رجل يُنزل المطر ،
وعلماء وسحرة ومحاربون ،
ونخاسون وضاربو الأجراس ،
ومصففة شعر السلطان ،

---

(٧٥) هو حسين بن منصور الحلاج الصوفي الشهير ، وقائل كلمة (أنا الحق) و المصلوب ببغداد عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م ومن أشهر كتبه (الطواسين) وديوانه الذي جمعه المستشرق الفرنسي ماسينيون .

(٧٦) إشارة إلى مشهد رجم الحلاج ، ويريد الشاعر ليقول هنا إن الحلاج كان يرجم راجميه بنظراته.

والمنقب عن الدفائن العتيقة ،
ومؤسس علم الرياضيات ،
وقارئ الفصوص [٧٧]
ومبشر الشيخ غالب [٧٨]
والخازن والوراق ...
كنا جميعا هناك ؟
لنرفع ذلك الإنسان الناحل الشاحب ،
إلى المشنقة ...
لكن جسد منصور الحلاج ،
كان أثقل منا جميعا !

وجاء الفرسان على شاطئ دجلة ،
يرتدون حلل العصور القديمة ...
وتفرقنا ...
كعمال عائدين إلى منازلهم في المساء ،
كأنما يتفجر من بين ظهرانينا الذهب ...
وكانت الشمس تشرق وئيدة مثقلة ...

نبشت قبر محيى الدين ،
فقال :(لا تخف أنا منصور)[٧٩]

(٧٧) فصوص الحكم لابن العربي .

(٧٨) الشيخ غالب شاعر صوفي تركي من أهل القرن السابع عشر الميلادي وقد خلف ديوانا شعريا ومنظومة صوفية رمزية بعنوان (حسن وعشق) .

(٧٩) هكذا يتداخل الزمن عند سزائي قراقوچ ويتوارى الظل بالظل ليرقد الحلاج بقبر ابن عربي .

لقد قطع الجسد ؛ ...
ففي أي جزء منه منصور ؟!
وفي أي جزء منه أثر المشنقة ؟!
فكأنما البحر تمدد ،
ولاحت أسرار السمك الكهربائي فيه ،
والصيني في الينبوع المقدس ...

(٢٧)

نحن في مرسية ، وتونس ، ومصر ،
والقدس ، ومكة ، وقونية ...
نحن محيى الدين الذي تلتف
الطرق حول قدمه كحبل غليظ ...
نمضي والشمس في ظهورنا ...
نحن قبر مفتوح ...
نحن موتى حول الأسوار ...
أحياء على الجدران ...
في أكبر مدن السلطان .
كانت هنالك مشنقة ،
حين نمر أمامها ترانا ...
نحن منصور ، ومحيى الدين المصلوب ...
والخضر في الماء ؛
في الأناضول ،
ينصت لصوت ،
ينهض ويدور ...
نحن مولانا ،
ينادي (شمس) ؛
الذي شاهد الخضر ...
تخيلناه ينثر نفسه ،
كأوراق مقدسة ،
ويذيب أحجار الكتاب ...

ألسنا محيى الدين بن عربي ،
الذي يضع أساس القبة ،
وظل المنارة ...
وبخردل الخضر ، يحرق المصروعين ،
فهو خلاص مجانين هذا الزمن ،
من صوت صافرات التحذير ،
ومن تأثير سحر أفلاطون ...
فحوَّل كتبه إلى خاتم في الكعبة ،
وشيد مدينة من ريح الصباح ،
وأقام حضارة من سجدة ،
وطهر دار الكتب ...

عنقاء الشرق ،
وعنقاء الغرب ؛
حرف (س) موصول بحرف (ش) ...
وأبجدية الزمن الجديد .
ومُرَاجع كلمة الخضر ،
وموثق الشفرة ،
وعلماء أفعال الزمن القادم .
ومعنى الساعة ،
وشلال أيا صوفيا ؛
كل ذلك نظرات إليكم ،
من عالم محيى الدين الخارق ...

(٢٨)

نحن الآن في بلد الأهرامات
في اليمين نصب موسى رايته ،
وفي الشمال فرعون وسحره ...
في زمن يتفشى فيه السحر ،
والمساء يخيم على الحديقة ،
والبحر يعدو لتغيير الأجداد .
هذا زمن الخروج من شاة اليد البيضاء ...
زمن تحول الشجرة الميتة إلى أفعى [٨٠]
ساعة قيام الأفعى بواجب مقدس ،
فالأفعى ستدفع وزر الماضي ...
يا له من وقت للمشاهدة ؟
ساعة موت الأهرامات ...
إنها ليست ساعة يحيى ولا عيسى ،
بل ساعة موسى ...
هنالك شيء ما سيحدث ؟ ...
فوق الأرض أو تحت الثرى ؛
إنه التغيير ...
هذه هي ساعة التغيير ،
من عبادة الإنسان ،

---

(٨٠) إشارة إلى عصا موسى عليه السلام التي تحولت إلى أفعى حين ألقاها ، وهي في نفس الوقت كناية عن دولة إسرائيل التي تحولت من الشتات والموت إلى أفعى صهيونية تلعب دورا خطيرا في العالم الإسلامي المعاصر .

ومن حلي نسوة مصر الذهبية ...[٨١]
إنها ساعة دفع الدين ...[٨٢]

الهرة قفزت ،
من تحت قدمي فرعون ...
فاعتبر فرعون وقومه ذلك ؛
شارة نحس ...

وفي الليل ،
زعق تمساح في النيل ،
فاعتبر فرعون وقومه ذلك ،
شارة نحس ...

تصدع هرم ،
وفي أسواق مصر ...
أصيب صيني شجاع بالجنون ...
فاعتبر فرعون وقومه ذلك ،
شارة نحس ...

إسرائيل ...
المبتهجة ...

---

(٨١) إشارة إلى عجل أبيس الذي صنعه السامري من حلي المصريات ليصنع لهم إلها ليصدهم عن دينهم .
(٨٢) يتداخل الماضي والحاضر في القصيدة ، ولعله يستخدم موسى وعصاه معادلا موضوعيا لإسرائيل المعاصرة المتعصبة لعقيدتها اليهودية وفرعون وسحرته ، معادلا موضوعيا لمصر وحكامها المتحللين من ولائهم لعقيدتهم . وأحسب أنه كتب هذه القصيدة بعد نكسة ١٩٦٧م .

كان قمرها بدرا ...
إسرائيل التي عرفت نفسها حديثا ،
اعتبرت ذلك بشرى ...

طوال اليوم ،
وديكة المدينة ،
لا ينقطع آذانها ...
فعلم فرعون وقومه أن ذلك ،
شارة نحس ...

سفينة غرقت في البحر الأبيض ؛
فعلم فرعون وقومه أن ذلك شارة نحس ...
لم يعد صائد الإسفنج ،
ولا عشيق الملكة ...
فاعتبر فرعون وقومه ذلك ،
شارة نحس ...
وحلقت فوق النيل ،
فراشات خضر ، كطائرات كبيرة ...
وفي الظهيرة أضحى البحر الأحمر بحرا أخضرا !

إسرائيل التي عرفت نفسها حديثا ،
اعتبرت ذلك بشرى ...

ولد طفل ،
وابتسم فور ولادته ...

إسرائيل التي عرفت نفسها حديثا ،
اعتبرت ذلك بشرى ...
وعالِم في منتصف الليل ،
أحرق ورقة ،
عن إبراهيم ،
تحت أوراق شجرة تين ،
لتحيا إسرائيل بسوط موسى ...
جسد يوسف مدفون ،
في حنطة إسرائيل التي نبشت قبره
ويحسب هذا بشرى لها ...

واجه موسى السحرة وجها لوجه ،
وواجهت مصر إسرائيل وجها لوجه[٨٣]
تراجع البحر الأحمر كجلد غزالة ،
وجف ، ولو كان في الشجرة روح ،
لأحيتها يد موسى ...
لقد هزمت الشجرةُ الزئبق !
وهزمت العقيدةُ العلم ! ...[٨٤]

---

(٨٣) لعل هذا ما يؤكد أن القصيدة كانت بعد نكسة ١٩٦٧م .

(٨٤) يريد ليقول إن إسرائيل كانت تحارب بعقيدتها ولذلك انتصرت ، ومصر كانت تحارب بأشياء أخرى غير العقيدة ولذلك انهزمت .

(٢٩)

الليلة ، خضت أشرس معركة ...[٨٥]
معركة أشرس من الحربين العالميتين ...
الأولى ... فقدت فيها أمي ،
والثانية ... جعلت أخي الأبله
بغير أم ولا أخ ...[٨٦]
لست أدري من أي بقاع الأرض
انعكس خيال الأم والأخ ؟!
أما هو ، فقد محاهما من خياله ...
لكني لم أصدق تلك الوثائق ،
ولم أسلم بها حتى الآن ...

ها هو ذا قد أضحى خرطوما يمتصني
وأنا ما زلت لم أقع في محشر اللحم الغاضب ...
أمد ساعدي ليطاولا رؤوس النخيل ،
وتهز رأسي أغصان شجر الحور ،
وأقفز فوق مكبس الجن ،
وتجرني قنان تماسيح البحر العجيب ...
لم أجن بعد ،

(٨٥) توضح القصيدة فيما بعد أن هذه المعركة الشرسة هي معركة الصراع بين دواعي اليأس والاستسلام، وإيمانه بضرورة التحدي والثقة بالمستقبل .

(٨٦) كأنه يريد أن يقول إن المسلمين في الحرب العالمية فقدوا الخلافة الإسلامية التي كانت تجمعهم تحت جناحيها ، فكأنهم بذلك فقدوا الأم ، وفي الثانية تقوضت أواصر الأخوة والمحبة بينهم .

حتى أخفض الراية وأستسلم ...[٨٧]

ثم هبطت الأرض بعد ذلك ،
تدفق حولي القطران ،
وذابت يداي وقدماي في حامض لزج ...
وتحول جسدي إلى زجاج ؛
حاولت أن أقرأ أفكاري المرعبة ...
لكن شيئا ما ظل في سويداء قلبي ؛
مازج روحي ...
تستطيع الآن أن تحاكيني ،
يا من مازجت روحك روحي ...
لكني لم أستسلم ،
من أعماقي ...

ثم أقبلت الأحجار والغبار والمعادن ،
تذوب بالمدائح أمامي ...
وأحرقت النيران المقدسة ،
أسمى في الربوات ،
واجتاحت البحر أمامي كسيل مهيب ...
كانت الموائد معدة ،
ليلا ونهارا ،
ظهرا ومساء ...

---

(٨٧) الشاعر صاحب موقف ثابت في هذه المسألة، فهو من المؤمنين بأن المستقبل في صالح المسلمين؛ حتى إنه يعتبر اليأس دليلا على الجنون .

جعلت العصر خمرا معتقة !
وقدمت الصبح قهوة مُرة !
وأقامت تماثيل المدن من المرمر المصقول !
لو كنت أخدع ، لخدعت بهذا ...
لكني رجمتها بالأحجار ،
من كل ناحية وصوب ...
من أمامي وخلفي ...
وجعلت من سِوَر القرآن سُورا حولها ،
قبل أن يُسمع صوتها الدنيء ...(٨٨)
الوجه الظاهر من الرأس ،
قولوا عنه مطرود من الجنة ...
الريش من الطاووس المزدان ،
والدرهم من الأفعى الملتصقة ،
كأنما ولد من الشرق ،
من إنسان مرتعد ،
شيء يستقطب الإنسان ، يدمره !
مثل هدير البحر ،
ونظرة أسد ،
ونزهة في غابة ،
وبدر منير ،
في ليلة باردة ...

(٨٨) يريد أن يقول إنه رغم بشاعة الواقع وشناعته ، وعموم التخليط والفوضى فيه ، فإن ذلك لم يثنه عن ثقته في مستقبل مشرق للإسلام ، وإنه يحتمي بالقرآن الكريم باعث البشرى والطمأنينة في نفوس المؤمنين .

ليس في عالم الكاهن المزيد ،[٨٩]
مثال ...
ولا قائم ولا معلق ،
ولا نفس ولا حوض ...
فأنا لم أجد في كل هؤلاء ...
الحياة ! ...
وجدت لديهم ،
الأحمر والأسود والأصفر ،
ولم أجد لديهم ،
الأزرق والأبيض والأخضر ...[٩٠]
فلقد حررني العلم ،
من أنظمتهم ...
وعلمتني أمي في طفولتي ،
الا أزيغ وأنا أعبر الصراط ...
وأن أمشي على الإفريز بسهولة ،
وأن أمص سم الأفعى ،
بشفتين مضمومتين ...
وألا أتعرى من ثيابي إن سلبت ...
وألا أموت إن سقطت من الطائرة ...
وأن أفسر الحلم ؛
بكلمة من العلوم السامية ،

---

(٨٩) الكاهن : كناية عن الغرب .

(٩٠) لم يجد في حضارة الغرب إلا القتل والظلم والبغض والكراهية ...

بكلمة مقدسة ،
بالاسم الأعظم ...[٩١]

الليلة عادت الأفعى تحوم حولي ،
تنغث كصانع الزجاج ...
كانت تجر السجادة لتصنع قاربا ،
تعبر به البحر الذي حررتُه ! ...
وتقف في النافذة تنادي الليل ،
وتجمع السناج من المدخنة ؛
لتدثرني بمخاوفي في كفن مقدس ،
وتجعل سريري قبرا ، أتمدد فوقه ميتا ! ...
لكني بعثت مثالا من الحشر ،
في غابة الزمن ،
وفي داخلي قدرة خارقة ،
تخترق الأبواب ،
كمسلح عنيد ،
يعود ويده فارغة ![٩٢]

(٩١) بمعنى أنه تعلم من الإسلام كيف يكون الصمود والصلابة وقت الأزمة والفتنة واختلاط الأمور ، وأن إيمانه يمده ببصيرة تنقذه من التشتت وتجعله قادرا على تمييز الخبيث من الطيب .
(٩٢) تأكيد على التحدي والصمود .

(٣٠)

في مجامر النحاس ،
في المطاعم ...
اذكروا الوقت الأحمر ...
وفي ساحة الجامع العظيم ،
الذي تبترد ساعةُ الشمس في ظله ؛
منتظرةٌ صلاة الجماعة ؛
في لظى الظهيرة ...
وهي تطن كنحلة ؛
وتجوب حدائق الصيف ...
وهي تتذكر ذكريات الحرب ،
وتتلوى ،
والأطفال يحيطون بها ...
هنالك اذكروا وقت التابوت ...
لا أعني التابوت ، بل خيمة القبيلة ! ...
وهاتوا الرمل ، رمل الصحاري الحرة ؛
لتقوا به العناد ؛ ...
فالصقر الذي يحط جنب الرأس ،
طريقه مفتوح نحو السماء ...
وصيحة الصيد ،
ساعة احمرار التفاح ،
ترتعد منه الأقدام ...

وتذكرنا بموت النمل ،
في القفار ...
ورجفة السفر ،
إلى البلاد البعيدة ،
وانتظار الأم الملتاعة ، ...
على شاطئ البحر ،
وخفقاتِ قلوب
الأطفال المترقبين ؛
لقهوة الصباح الأخيرة ...
عينا الجواد تحدقان خلسة ،
في النسوة ...
في تساؤل واحتجاج ...
وقال الغجري ،
المنظوم في الغربال ،
فوق غطاء ...
وهدية تاجر هرِم ،
في حلب ،
قطع الجبال ...
نحو بلاد بعيدة ،
وبعد التجارة ،
راح يبحث عن هدية ،
على ضوء نور خافت في مغارة ،
وهو يسترجع قصص الجبل ...

يا أسئلة الشمال ...
يا أجوبة الجنوب ...
يا أصداء الغرب ...
يا أوجاع الشرق ...
اذكروا النفط ،
المتوهج فجأة ،
تحت الأسقف المنخفضة ...[٩٣]
في محطة حب .
لا يتقدم ،
ولا يتأخر ،
في ليالي الصيف ،
على شاطئ دجلة الحالم ،
وفي أورفه ،
ونزيب وبيلة جك وجزرة ...
طيف فتاة ،
هربت من البيت ،
برفقة اسم أخفته داخلها ...
تمضي من سقف إلى سقف ،
تتكلم في ذهول ،
يخنقها سياج كابوس ،
تثب من خصلة شعر القرابة ...
من عراك الحقول ،

(٩٣) لعله يقصد بذلك بلاد النفط العربية التي كانت تسكن الخيام .

وتقسيم الماء ...
تثب منطلقة ،
خلف لهيب محال ! .
في نار تلك الفتاة ،
هندسةُ الحب الخالد ...
وسيأتي يوم بعد أعوام ؛
لتُفتح صناديق الشباب السرية ،
في ليلة ربيعية ،
أمام هذا الصنف الأخير الخالد ...
الأمُ صبغ الألم شعرها ؛
إنها إمرأة جنوبية شرقية ،
إنها ذكرى خالصة ...
للحرب العالمية الأولى ...[٩٤]

نحلة ماء الحياة ،
تمسح الدمع الذي رأته ،
على غلالة الفتاة ...
فاذكروا ذلك الدمع ... اذكروه ؛
لأنه سيتفتح كوردة ،
في كل طفل ؛
عندما يحين الوقت ...[٩٥]

(٩٤) الأم رمز للخلافة الإسلامية .
(٩٥) لا بد من الألم والمعاناة في سبيل تحقيق الإحياء حتى يحين موعده .

اذكروا ،
قروح الشرق ،
والغضبَ ، وصرخةَ الأب ،
واهتزاز أشجار التين ،
وتحليقَ طيور الخريف ...
قد عاد الجار من بلده ،
واحرق من أجل الضيوف المشاهير ،
وأنيرت الحديقة بمصابيح متوهجة ...
لقد حطت مصانع الغرب فوق بلادنا ...(٩٦)

(٩٦) إشارة إلى الطور التغربي الذي يعيشه العالم الإسلامي .

(٣١)

تراكضوا نحو جلجلة القمر ،
فلما سعدوا بالوصل ،
وراحوا يجمعون الذهب ...
أنجبت امرأته ولدا ...
فتبددت آمالهم ...

النسوة ، يحلبن حليب المساء ،
ويجتمعن حول كوخ ...
وحفيفُ البلوط يدوي في الخيام ،
والصبيةُ الأطهار النيام ،
يهزهم الدوى ...

القمر زلزال عليل ، تلك الليلة ؛
زلزال منتظر فوق رؤوس النخيل ...

ضيوف المدينة ، أضحوا نواطيرها !
حدثنا أحدُ العظام ...
فقال : شقوا القمر ...
وأقنعنا بذلك ...

سيف أحدهم ،
يلمع في الليل كقنديل ...

وآخر مغرور بزرعه ،
كوجيه من روما ...

وفتى منهم شجاع ،
راح يعدو صوب الصحراء ...

رفعت الجِمال أعناقها ، تنظر للقمر ؛
في نَهَمٍ لِشعر جديد ...
وكان العروض الجديد ،
هو القمر ...

قالوا لنا شقوا القمر ،
وأقنعونا بذلك .

فلنعرض عن الدنيا ،
ونحمل الراية الجديدة ؛
لنحرق روما مرة أخرى ،
ونحاصر الخليج ،
ونحطم القيود ، ونحرر العبيد ،
ونمتطي جواد الصحراء ، نحو المحيط ،
ونغسل أقدام العرب ...
في البحار الكبيرة ! ...
ونجعل نجوانا صادقة ...

فانشق أيها القمر ، انشق يا بدر التمام ...[٩٧]
وانظر إلى الأرض ...
وإن بُحتَ بسري ،
فإنك تبوح بمأساة الأرض !
تلك المأساة ؛
التي حولتنا
إلى طحالب في أعماق بحر غائر ...
فانشق ! ...

....

شُقوا القمر .. إذن فلنحرق الأوراق التي في النبع والبيت ،
ونجدد زي الفرسان بالزي الأبيض ،
ونرد العنبَ إلى أصله ،
والدمَ إلى أصله ،
ونجعل المرأة أما . وأختا ، وبنتا ...
ونحصل على فائض النسبة المئوية للصفر ...
ولا ندفن الفتاة التي نخجل منها ...
فانشق أيها القمر ؛ لتحرر المصروعين
ترى لو مددت يدي إليك
مثل جناحي طائر ،
تنشق أيها القمر ،
وتبتسم ؟!

(٩٧) كان انشقاق القمر معجزة كونية مشهودة من معجزات رسول الله ﷺ كذلك الإحياء الإسلامي سيكون معجزة كونية ، تخلص الأرض من مأساتها .

ماذا تحمل في قلبك ،
وأنت تعبر النار ؟!
انشق أيها القمر ،
وانشد مراثي الوطن ،
للأطفال اليتامى ...
انشق أيها القمر ...
للحَمَل الضال عن أمه ...
انشق ؛ عشقا لله ...
في الربيع ، ...
قالوا لنا شقوا القمر ،
وأقنعونا بذلك ...
الحالمون الذين يَزِنون القمر على الأرض ،
دون وضع المنظار فوق الجبل ،
سيجعلون القمر ينشق ،
ويتدفق بين يدينا ؛
مثل الحليب الذي في ورقه التين .

القمر قميص للحرب ،
من بخار السرعة ،
الذي في حد سيفنا المصطلم ...

القمر يتمدد ،
حتى ميلاد ميلادنا ...
القمر قفص صدري ،

يتضعضع بين السبابة والإبهام ...
القمر قوس حريري ،
كنسيج العنكبوت ؛
يسقط من عش طائر ،
يطحن الدقيق للمساكين ،
يسقط فوق صدورنا ...
القمر هو الميلاد الجديد ،
يأتينا ،
كطفل لطيم ؛ ...
كي يطهرنا من الموت ،
وحدِّ السكين ...
سيهبط القمر ،
على أرضنا ...
والكف الرقيقة ،
الممدودة من القمر ،
هي مطركم ...

إنهم يرقبون القمر ،
من أسطح المنازل في (مانستر) ،
وينتظرون صوت الغيب ،
من لسان مشلول ...
ويبحثون عن صوتنا في الأفق ...
يقول الرهبان

كلاما غامضا ؛ ...
إن القمر ،
سيصبح بدرا في ليالي الصيف الأولى .

القمر في مُهر غير مروض !
قالوا : شقوا القمر ،
وأقنعونا بذلك ...

نظرة منا ، تكفي لشق القمر ...
وبسطُ يدنا ،
وكلمتُنا
تحي القمر في قلوبنا ،
وترينا صورته في الماء ...
لنا مع الخضر ، حق شرعي ،
وماء الحياة في ضوء القمر ،
هو اكتشافنا في قاع البحر ...

في إحدى الضواحي انشق القمر ،
فانطلقنا إلى هناك ،
وقرأنا القرآن في ضوئه ...
الأمهات يغسلن بقايا العشاء الأخير ،
وما خلفه تفتيش الصبية نهارا بين الأشجار .
الشمس على وشك الغروب ،
والهياكل أوراق يابسة ...

القمر مثل إفطار على عنقود عنب
كبَنَّاء متجول في منبر مرمري ؛
يلف ثم يهبط ،
من إحدى المغارات ...
قصر الحمراء مولود من انشقاق القمر ...
القمر ، غصن زيتون في قرطبة ،
ونخلة مضيئة في مصر ...

هكذا شربوا الخمر
في كؤوس القمر المشقوق ...
وتنفست الجياد ،
التي نمتطيها .
في شرق آسيا ،
وغرب إفريقيا وأوربا ...[٩٨]

المدن الميتة موجودة .
والخضرَ
يحمل إليها النوار
المتساقطَ من انشقاق القمر ...
وسيأتي مساء يعود فيه
الشاب إلى تلك المدن ...

تراب القمر ،

(٩٨) كناية عن الفتوحات الإسلامية . وانتشارها في أفريقيا وأوربا وآسيا .

يـجلو عن العيون الرمد ...

الأم الشمطاء ،
ذات الثدي اليابس ،
ستردها ،
حرارة انشقاق القمر ،
ناهدا ...

قارئو القرآن في الحروب ،
هـم الذين يشقون القمر ،
ومن انشقاقه إلى قمرين ؛
تنزل الجيوش ، وينزل الجند ...

الراعي ...
ثاو على الصخر ،
يهش بعصاه على الغنم ،
يشق بها القمر ،
فيبتسم ،
وهو ينفلق ...

ينشق القمر
نصفين ؛
نصف أخضر في الدنيا ،
ونصف أبيض في الآخرة ...

كيف ينشق القمر ،
في البحر اللجي ؟
سينشق
مثل نبع ماء الحياة ،
بين يدينا ...
انشق القمر مثل تنزهنا في الليل ...
لم يستطع العناد كرمانة تأبى أن تُقطف ...
في شماله أطفال (نجازاكي) و (هيروشيما) الصرعى ...
وفي يمينه فراشة جبريل ...[٩٩]
ودودة القز تنسج القرآن ،
في الحواضر والبوادي ،
والجبالِ التي ألِفت صوت المزمور ...

غثاء القمر ،
فوق الجياد المطهمة بالصدف
التي تحمل الكون فوق ظهرها ؛
تنهل في أفق الإنسان ،
على العهد الجديد ...

كل من رأى القمر الجريح ،
وهو عائد إلى بيته ليلا ،
من الكوثر ،

---

(٩٩) بمعنى أن الإحياء الإسلامي يجمع بين ثنائية الهدم والبناء معا .

من ماء الحياة ؛
ليُحتسى بالأكواب ...
كان ثملا ...
جريحا ؛
شوقا إلى الوطن الحقيقي ...

كل هذا ،
قالوا عنه إنه طلسم ...
الفراش القذر طلسم ...
والقميص الرمادي الرث ،
فوق المنضدة ، طلسم ...
وتحول الغرب إلى الشرق ، عند انحناء اليوم ،
طلسم ظاهر في فرن الفولاذ ...
واليوم المشرق ، طلسم ...

قالوا إن القمر طرق الباب ،
وكسر زجاج النافذة ...
وإن ماس الخضر كسر القلم ،
الموجود داخل صبي وأخته ،
مثل الخريف ...
مثل حديقة الخريف ، ...
وألقى الورقة فوق نصب تذكاري ،
فوق وجد مسافر ،
على مفترق الطرق ...

(٣٢)

قَرُبَ القيامة ؛
هنا سيدة تموت ...
أَبْعِد القيامة ؛
هنا سيدة تموت ...

قَرُبَ النداء ؛
هنا سيدة تموت ...
وقلعة (غلطة) تحتضر ...
هنا سيدة تموت ...

توقف القلب عن الخفقان ؛
لأن أسِرَّة الموتى ،
لم تُطَهر ...
الماءُ في المصحات ،
يُقَدَّم في أكواب منقوشة
كالتي في دير الراهبات السلافيات ...
يونيه شهر الطوارئ في هذه البلاد ؛
في هذه الأعوام ،
سيدة تموت .
ساعةَ تفتح المحارات ،
ساعةَ تدفق لبن الحسناوات ...
قرب القيامة ،
أبعد القيامة ؛
هذه الليلة ،

هي ليلة المعراج ...
حيث انطلق الثلاثة ، صوب الشرق ،(١٠٠)
وأقاموا أعمدة خضراء ،
وأشعلوا القناديل ...
وأضحت العين تبصر ...
والأذن تسمع ...
والعلم يعلم ...

في أرض مكة المباركة ،
وبينما تنبعث رائحة التراب في السحر ،
كانت هناك قافلة تحتسي الصبوح ،
بين الشام ومكة ...(١٠١)
كان الماء سرابا ، بين النخيل والنار ...
هل كانت تعلم ،
قوافل الشفق لمسافر ،
بما رآه ضيف السماء ،
وبالآثار التي تركها ،
وبالبلاد التي حل بها ،
وبما أكله ،
وباعه واشتراه ،
ومواليه ؟! ...

(١٠٠) لعله يقصد بالثلاثة ، رسول الله ﷺ وجبريل والبراق .

(١٠١) إشارة إلى ما أخبر به الرسول ﷺ كفار قريش من أنه رأى قافلة لهم في موضع بعينه ، وحدد موعدا لوصولها ؛ تصديقا لمعجزة الإسراء والمعراج .

وهل تعرف طيور النورس وهي تحلق ،
ماذا في أعماق البحر ؟!
ألم يكن الأنبياء ،
كل منهم يصيد في بحر !
في القدس ،
أعدت الصخرة ؛
قاعدةً الانطلاق من الأرض ،
لفارس يمتطي جوادا ؛ ...
فالمبدأ الأول والعهد الأول ،
هو اشتراك أحجار المدينة ، في انطلاق الشهيد ...
وجاء عيسى ،
تتبعه خطوط فسفورية ...
وجاء موسى ،
ونصب ألواح المرمر ...
وجاء إبراهيم ،
في دائرة نارية ...
يمين القدس زيتونة ،
وشمالها بركان ...
وجاء يوسف ،
وعن يمينه بنيامين ...
وجاء سليمان ،
أذاعت نبأ قدومه نملة عجوز !
وجاء داوود ،
بمزاميره ...

في المسجد الأقصى ،
وَقْعُ أقدام ! ...
إنه أيوب قد جاء ؛
فطابت القدس ...
وجاء لوط ،
وطلب الملح ...
السحاب في السماء ...
إنه رعد صالح ...
وذو الكفل ،
أرسل رسولا بالبشرى ،
لليل القدس ...
والفراشات الخضر ،
غطت وجه الأرض ...
واصطف الملائكة أمام المسجد وخلفه ،
وأمسكوا دفاتر فضية ،
وأقلاما فضية ...
وصلى الملائكة والأنبياء ،
وكان الرسول أمامهم ...
ليلة المعراج ...
ليلة لا تطير فيها الخفافيش !
قرِّب القيامة ...
واطرح الندم ...
وأوقف الزمن !
فهذه الليلة ،

ليلة المعراج ...
ثم عاد كل شيء إلى حاله ،
وظل الرسول وحده ،
أمام صحراء ...
كأنها كانت لحظة أسى ...
كتلك التي أسلم فيها إسماعيل عنقه للسكين ...
كلحظة أن شوهد طرف ثوب شيث ؛[١٠٢]
وهو يتوارى خلف زيتونة ...
كاليوم العصيب الذي ...
صام فيه زكريا عن الكلام ...
وفجأة لاح البراق ،
فحمل الرسول في الذهاب والعودة ،
كمانعة الصواعق ...
وكان جبريل يرتعد حينئذ !
كان ملك الوحي يرتعد ...
وتذوب كلماته ...
وكان جراد السماء القاسي ،
يمتص حليب صوت سنابل الربيع ...
وكان الصبر يدير المراسم ...
ثم لاحت وثائق عيسى وموسى ،

---

(١٠٢) شيث عند العبرانيين هو الابن الثالث لآدم ﷺ ويقال إنه ولد بعد مقتل هابيل بخمسة أعوام وآدم عمره ١٣٠ عاما ، ويزعم أنه تنبأ بالطوفان قبل وقوعه ، وأن آدم ﷺ حين مرض طلب إلى الله عز وجل زيتا وزيتونا ، فأوحى الله إليه أن يرسل ولده شيث إلى جبل سيناء ليحضر له ما أراد فذهب إلى هناك وأحضر لآدم ما أراد ودهن جسده فطاب .
ISLAM ANSIKLOPEDİSt : CİLT 11.S.575 .

مسرعة كالبرق .

ثم حانت ساعة ،
انتهت فيها مهمة البراق ...
فانسحب مثل شعرة تُسل من الزيت ...
وتراجع جبريل قدمين للخلف ،
وأحرق إصراره ؛
لأن صورة حدوده الأخيرة ،
كانت تلوح أمامه ...
فقد جاوز الرسول هناك البشرية ،
وتفجرت الأنهار من أطرافه الأربعة !
فهو مدينة النار ...
وبركان الوطن الأصلي ...
مشى الرسول فوق البساط ،
واجتاز النار ...
فتطامن الماء الذي يمور ...
اتخذ الرسول من القرآن درعا ...
وكان عرَقه ؛
دراري تناثرت فوق جبينه ،
وكان هذا نصره ...
ها قد لاح الشروق ،
كان فجرا ،
كفجر اليمن ...
حتى النار كانت نسيم الصَبا ،
والبساط كان نسيم الصبا ،

والقرآن كان نسيم الصبا ...

ثم توقف البساط ،
وانسحب للخلف ،
وتقدم الرسول ،
وتجاوز الزمنَ ،
والهياكلَ الحجرية ،
والكلماتِ ،
وميلادُ النهار ،
وما وراءَ القلب ،
والفكرُ ،
ولم يبق معه إلا جبة العشق !
ويد الأم تمسح جبينه ...
ثم رأى ما يرى ...
رأى ما لا يُرى !
ترك الصفائر كلها ،
وشرب من البحر الفذ !

قرب القيامة ،
أبعد القيامة ...
في هذه الليلة ،
كانت في بيت أم هانئ وليمة ...[١٠٣]
أصدع بالخبر للناس ؛

(١٠٣) أم هانئ هي مربية رسول الله ﷺ .

ذهب الرسول وجاء ،
ليس هذا حلما ؛[104]
فحياتكم هي الحلم ! ...
إنه يقظة ،
وحياة ...
أصدع بالخبر للناس ...
وعند شروق الصباح ،
ستؤذن الديكة ،
وستفرق على الأصدقاء ،
هدية السماء ؛
الصلاة ...
خمس مرات ؛
كمعراج يومي ،
كأكبر شاهد
على معراج الرسول ...

(١٠٤) رد على من يزعمون أن معراج الرسول ﷺ كان رؤيا رآها في نومه .

(٣٣)

ما قولكم لو انهارت الأعمدة !
وذبلت الوردة ! ...
ما قولكم ،
لو خبت النار التي لا تخبو ...[١٠٥]
ولو صيدت الظباء في جبل يذبل !
ما قولكم ،
لو جثم على مشاعر قبيلة الحليب ،
جبل ،
ولو اصفرت السنابل !

طفل ولد في أمريكا ؛
شعر عبودية زنجي ...
طفل ولد في أوربا .
جد مخترع المذياع ...
أطفال الحرب ،
والشعراء والسلاطين والمنجمون .
ولدوا الليلة ،
وبلغوا الصباح ...
ومصباح من زيت الزيتون ،
في بيت صغير ،
في مكة ، ينير للنسوة المترقبات ،
في بهو معتم ...

(١٠٥) إشارة إلى تصدع إيوان كسرى وخمود نار المجوس يوم ميلاد الرسول ﷺ .

والجد ،
والأعمام والأخوال يترقبون ...
وشيخ طاعن يفضي بالأسرار ...

الأم المحترقة في الليل ،
مدت كأسا منيرا ...
من حاشية وسادة بيضاء ،
من الماء الذي سقاها الخضر ،
كالكلمة التي أحستها مريم ؛
كانت تكبر داخلها ،
أعضاءُ الطفل الوجيه ،
وتتشابك تضاريس الخريف الكثيرة
مثل بحر يقذف بالذهب ...
من ورد عرفات ،
دلف الماء إلى البيت ،
وعلم الراهب الورع ،
دعوة للتأهب ...

كان النخل ينقل لمريم جلبة المدينة ،
وهي تبسط الملاءات ...(١٠٦)
وآسيا أنقذت
الطفل المقذوف في البحر ...(١٠٧)

(١٠٦) إشارة إلى اتهام الناس لمريم العذراء بالفاحشة حين أتت إليهم تحمل المسيح عليه السلام وليدا .

(١٠٧) إشارة إلى ما كان من قصة موسى عليه السلام حين قذفته أمه وليدا في البحر والتقطه آل فرعون ، وطلبت آسيا زوج فرعون إليه أن يبقى عليه ولا يقتله .

وطردت السيدات السارقات ،
في حضرة كثير من الملائكة ،
وعذارى الجن
كانت تجلو وجه النهار المشرق ،
وتصقل وجه القمر ،
وتجدد النار ...
كانت تكبر داخلها
أعضاء الطفل الوجيه
وتتشابك تضاريس الخريف الكثيرة
مثل بحر يقذف بالذهب .
كانت الجياد
تسمع طرق المعادن ...
واصطفت بجانبها ،
أعراف جبل النور ،
والجمال التي أمامها
تطلق زبد البحر من أفواهها في الأفراح ؛
نشوة بالعلم العظيم

تغير هدير البحر المتدفق
واستقامت الريح الهبوب
وارتد النهار
وملأ الربيع ؛
مستودع الدم ،
وفوهة البركان ورودا
واختلط اللبن بالزبد ؛

إنها ثورة اللبن ...

في استانبول
شاهد أحد الصيادين شبحا
فرجع إلى بيته ،
وتدثر ...
وفي قصر بيزنطة ،
انكسر قدح من الكرستال ...

توقفت ساعة الشمس في القدس ...

ورجل فر من النار
في روما ،
كان سجينا
وظل أعواما لا ينطق
ثم اعتق ...
ونهض على قدميه ،
وأنار القمر وجهه ،
وقال : صباح الخير !
صباح الخير ...
صباح الخير أيتها الأم المباركة
صباح الخير أيها الطفل الوليد ...
صباح الخير أيها البحر الثائر ...
صباح الخير يا أيها الناس ...
صباح الخير يا مسلمي العالم ...
صباح الخير يا جبريل القرآن ...

صباح الخير يا إسرافيل السور ...

صباح الخير أيها السادة ...
صباح الخير أيتها الجيوش التي تجعل سورة الفتح واقعا ...
صباح الخير أيها الشعراء الذين نظموا المولد ...(١٠٨)
صباح الخير أيها الأولياء ، يا من تنفضون غبار الأفق ...
صباح الخير أيتها النسوة اللاتي تفجرن البحر في القلوب ...

صباح الخير ،
يا من ندَّى العرق جبينه ...
وأكل من عمل يده ...

أيها العمال ...
أنتم أوراق الصبر ...
صباح الخير ...

صباح الخير ...
يا من تعلمون الناس القرآن ،
وتصلحونهم ...
أنار الله بصيرتكم ...

صباح الخير ،
أيها الشهيد ...
يا من أرقت دمك للريح العطشى ،

---

(١٠٨) المولد نوع من المنظومات عرفت في الشعر التركي العثماني ، كان الشعراء يتبارون في نظمه تخليدا لذكرى ميلاد رسول الله وسيرته العطرة .

ورفعت راية الحرب
بدمك ...

صباح الخير ، يا من تقرأون التوراة الأصلية ...
يا من تسمعون صوت الإنجيل الحقيقي ،
والموسوية الحقيقية ، والعيسوية الحقيقية ...
صباح الخير أيها المسيحيون الحقيقيون ...
يا من تخرجون من طقوس
المعابد ،
والأديرة ،
وتشتاقون إلى وجه النهار ...
صباح الخير ،
يا شهداء بدر واليرموك ،
والخندق وأحد ،
والحرب العالمية الأولى ،
واليمن وقفقاسيا ...
في شفاهكم ،
تطيب الجنة ،
وأنتم تصلون ،
وأنتم تستشهدون ،
وأنتم تُكبِّرون ...

(٣٤)

في ديار بكر ،
أذابت الحرارة الأحزمة ...
وخفافيش الصيف تثير الغبار ؛
حتى في النهار ...
آشور تتربص للعقرب خلف الأسوار ...
وشفاه دجلة المزبدة ،
تقذف الشمس كحجر ،
من صنابير كهيئة رأس الأسد ،
وهياكل أسد مضيئة متوجة ...
كُتُبُ البيزنطيين ثرِد ،
مكتوبة بحروف لاتينية ...
ستتآكل كالنحاس في المخازن ...
ويلف الظلام صفحاتها ،
في زمن الدخان المتصاعد من جوف الأرض

العسل تدفق من التين ،
والزيت تدفق من الزيتون ،
وظهرت دولة جديدة للرمان ...
النخيل رقيب أمراض عديدة ،
ونمال الذكر الصفيرة الدقيقة ،
فوق الأحجار الملتهبة ،
مستغرقة في التسبيح ؛
تسبيح كوني ،

هو هدية طوفان نوح ...

النحل والنمل ،
والأفيال والوُرق ،
تنتشر متدفقة ،
من هضاب الجودي ،[109]
نحو ميزوبوتاميا ،
نحو الدنيا ...
كيف كانت الأفيال ،
ترى الهند في أحلامها ؟!
الصحارى والجمال ،
في هياج وجلبة ؛
كوجد كاهن ...
وشقشقة الجمال ،
تهدم القصور ؛ ...
فوطأة السراب في قلوبها !
أثارت غضب شوقها ...

إيران تُدق مثل مجن ،
وروما تتكسر مثل رمح ،
وآسيا تزلزل ،
وأوربا كدر يتبخر ،
والمعابد تقوض ،

(١٠٩) اسم الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح ﷺ بعد الطوفان .

والأديرة تهدم ؛
عندما تنفلق البيضة ...[١١٠]
عندما يكون كلام الناس ،
آذانُ الديكة ...
الورود ،
تحرك ماء المغارة ...
هناك كلمة جديدة ،
تمضي نحو الجبال والسحاب ...
بينما العقرب تجوب الوديان ؛[١١١]
العقرب الجديدة تنشر الجذام ...
والأقنان في مغارات الأسر ،
ينشدون الخلاص من السماء ...

أكفان العنب متعفنة ،
في حدائق الشمال الذابلة ...
يا ضيف ضحى مكة ...[١١٢]
ارفع عنا العذاب ...
وخذنا من المطر المتساقط علينا ...
من غفلتنا ...
إلى ينابيع الماء ،
إلى حجر إبراهيم ،

---

(١١٠) انفلاق البيضة ، وانشقاق القمر ، ونشور الوردة من رموز الإحياء الإسلامي عند الشاعر .
(١١١) العقرب والأفعى والكاهن من رموز الغرب عند الشاعر .
(١١٢) يقصد رسول الله ﷺ .

إلى غار حراء الذي يتلو القرآن ،
إلى الكلمة التي نزلت هناك ،
إلى جبريل التلميذ الذي علم الدرس كأستاذ ...
كلمة العالم ،
هي التي تصنع العسل للنحل ،
وتمد العقول المباركة بالشراب ،
وتلد الطفل ...
وتمحو نوم ثلاثة قرون ،
وتحي الموتى ،
وتكلم النمل ،
وتشق القمر ،
إنها صوت الله ...
كلمة الله ...(١١٣)

يصنع جبريل من الفجر تيارا كهربائيا ؛
وينزل الشفق كالراية ،
ويقطع قيامِه القباب كالتين ...

ارفع عنا العذاب ؛
فالأم التي شبت يتيمة ،
هلكت كخيال يتوارى ...
سيد العالمين ،
والثقلين ،

---

(١١٣) إعلاء لقيمة العلم في منهجه الإصلاحي ، فهو عنده صانع المعجزات .

المعنى بلباس الشعراء ،
هو النبي الخاتم ...

ارفع عنا العذاب ...
واجعل الكلمة المصلحة الأولى ،
ملاذا للخائفين ؛
ولجرحى الظاهر والباطن ؛
فصورة حراء ،
هي أحذق طبيب لنا ...

هذا وباء مختلف ؛
أيتها السيدة ، دثريه كما تشائين ؛[١١٤]
فليس هذا سعال الخريف والربيع ،
والصيف والشتاء ،
والسحاب والبحر ،
والجبل والنهر ،
إنه سعال كتاب جديد ،
سعال عودة من رحلة ،
وقلب الورقة ،
ونضج أول فاكهة الموسم ،
وتذوق الرمان ، وشق البطيخ ،
والكوثر ،
وتفسير الحلم ،

(١١٤) إشارة إلى عودة رسول الله ﷺ مرتعدا من غار حراء عندما نزل عليه جبريل بالوحي أول مرة ، وطلبه إلى السيدة خديجة أن تدثره؛ فظنت أنه يرتعد من برد ألم به .

وإطفاء النار وإشعالها ،
ونضوب الماء وثورته ،
وانحسار الظل ...

يا أيها المدثر ...
قم ...
واشف الإنسانية ،
من وباء التيفود ،
والجذام الذي يجعدها ،
وصرع الأجراس ،[١١٥]
وسكر المعابد ...
وجد بالحياة ،
لحران الميمونة ،
والإسكندرية المعذبة ،
واسق جيادك من ماء المحيط ؛
فأنت ساقي ماء الحياة ،
لشهداء الظمأ الأخير
وأعد المرمر المطروق في الأزمنة القديمة ؛
أزمنة عيسى وموسى وإبراهيم ،
والصفا والمروة ،
والحجر الأسود ...
وطهر بحمم هذه الكلمات ،
النيل والفرات ودجلة ،

(١١٥) يقصد أجراس الكنائس .

المتدفقين من الجنان ...
واجمع البنفسج ،
في ذرى الجبال الشاهقة ...
وأنعم على العيون والأجنحة ،
وسجدات الليل ،
وخنادق البشرى ،
بتنفس الصبح ...
وحرر أطفال الفجر ،
والمدينة الفريدة ...
وأعلن للدنيا أعظم خبر ...

(٣٥)

في وقت ما كان أبي يتذكر غزوة بدر ،
والخندق وأحد وحنين ،
وفتح مكة ...
عندما كان أسيرا في روسيا ،
في الحرب العالمية الأولى ،
والمطر يتساقط فوق باكو ...
كان لا يمل النظر من النافذة ،
حيث لا قمر ولا ربيع في الجنوب ،
ولا سمور
يُسمع من بعيد ،
في المياه المليئة بالطحالب ...
لم يكن سوى القرآن فاتحا لأبواب السجن ،
ولم يكن سواه من سلوى وأمل وفكر
كان سلواه
في الأسر ...
لو لم تكن وثائق اليقين ،
والملائكة ،
وجوقة سيوف بدر
اللامعة في الصلاة ،
وشرارة الخندق
تحوطه ...
لو لم يكن هناك سياج واق ،

وكأس سلام من فتح مكة والخروج منها ،
وحلاوة مذاق الكوثر باقية في الفم ،
والقرآن ؛ ماء الحياة
يتفجر من يديه ورأسه ووجهه ؛
هل كان يمكن الاحتماء ،
في مخيم أسير ،
سيفه كسير ،
ونظراته تجمدت من الألم في باكو
الشموع توقد في ذكرى عيسى ومريم ،
والرؤوس تطير من أجل الخبز والمساواة ...
والعالم يساق نحو القيامة ،
بالبرد والثلج والبرق ...

في بدر قتل الأخ أخاه ،
بعدما قامت أخوة حقيقية جديدة ...[١١٦]
وانتصبت الوردة للوردة وجاء الربيع ،
وتحرر الأطفال ...
ثم استل السيف ، وقطع النخيل ؛
فهاك سيف اغتصب الفرات ،
فسال الدم ، وركد الماء ، وتراكم القيح ...
وهاك سيف حمل دجلة فوق حده ،
حتى مكة ...

---

(١١٦) يشير إلى تجلي المعنى السامي للأخوة في غزوة بدر حيث كانت أخوة الإسلام فوق أخوة الدم ، وكان المسلم في جيش رسول الله ﷺ يلقى أخاه الكافر في بدر فيقتله .

وسيف شق النيل نصفين ،

وطفت مومياء فرعون على الضفتين ...[١١٧]

هنالك كأنما كان صوت الرسول ينطلق من عرفات

بهذه القرارات ؛

(من دخل الكعبة فهو آمن ،

ومن أتاني فهو آمن ،[١١٨]

ومن دخل هذا البيت فهو آمن) .

وكانت آخر نار للعثمانيين !

كان الجندي الروسي المتعب ،

يتراجع أمام باب المخيم ؛

مرتعشا مرتعدا ،

كفيل أبرهة

المرتد عن الكعبة ؛

فقد كان أبي ،

يتلو سورة الفتح ...

فكل سور القرآن سورة حماية وفتح ،

وليس فيه سورة خذلان ...

وكل آية ، رجل يعدل بلدا ،

وكل سورة تعدل عالما ،

فالقرآن هو خطاب العرش ،

وجواب الجواب ...

---

(١١٧) إشارة إلى الفتوحات الإسلامية الأولى في عهد الخلافة الراشدة .

(١١٨) إشارة إلى ما قاله رسول الله ﷺ يوم فتح مكة (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن) - سنن أبي داود؛ باب ما جاء في خبر مكة.

وكل رجل كالخضر جيش ،
وهو زعيمك الزعماء ...
ليس فيه ثار ؛ فالثأر طاعون ...
إنه الحب ...
جالب الحب من ضرع الكون ...
قصص الحرب المقروءة في الطفولة ،
عن استعصاء أبواب خيبر ،
وإجابات الأسئلة الموجهة إلى الأب في سمر الليل ...
والكلمات المبهمة ،
التي أطلقها خيال (علي)
في آخر لحظة ؛
غبار سنابك الدلدل ،
ورهافة (ذو الفقار) ...[119]
في قفقاسيا ،
وفي الحرب والأسر ،
كجمع السمك ،
من الشبكة المطروحة في البحر ؛
قبل قدوم الموت ،
قبل آفة اليأس ،
القادم كالموت ،
قبل ثورة الخوف ،
قبل الموت ...
في هذه الصحراء ، في قلب فوضى هذا الكون ...

(١١٩) الدلدل هو جواد علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وذو الفقار هو سيفه .

نحن فقط الرجال ، نحن الجنود ؛
نحن جنود بدر والقرآن ...
نقدم الهدية للمدن ...
القرآن هدية السماء ...
نفتح أمام العالم هذه المأدبة ؛
فالذين لا يؤمنون بالله ويؤمنون بأنفسهم ،
نحرقهم ونحرق بلادهم ...
ومن يشرك المسكين في طعامه ،
يجد طعامه في أي موضع ...
ومن يبصر يد الله في العلا ،
يرى مهبط النسر في الذرى ...
ومن يرفع صوته فوق صوت الله ،
نقول له : يا ذبابة في مهب الريح هذا هو خليج البصرة ،
فاحتكم ؛ فالأرض جهنم ،
والسماء جهنم ...
ومن يبني سورا أو بناء أعلى من الكعبة ،
فنحن جيش نشق الأرض ونغلق الصخر
وسوار خيبر في معصمنا ،
نلناه من فيضان الماء ،
وباقات زهر بدر مشرقة في وجوهنا ،
وورود الخندق حناء في شعورنا ،
ونطاق فتح مكة ،
أبهى نطاق في خصورنا ...

(٣٦)

وانطلقا آية آية ، سورة سورة ،
من مكة إلى المدينة ...
فلما تنفس الصبح دخلا مغارة ،
ونسج العنكبوت خيوطه ، في ليلة من ألف عام ،
وباضت الحمامة بيضة دافئة ؛
بيضة الميلاد الجديد ...
وجاء الكفار الأوغاد ، ثم رجعوا ،
صاحبا الغار أحدثا المعجزة ؛
فلم يروا ولم يسمعوا ولم يحسوا ...(١٢٠)

ثم انطلقا آية آية ، سورة سورة ،
مثل قيامة صامتة ...
أما عمر ،
فتمنطق سيفه في وضح النهار ،
وحمل قوسه، وتأبط شرا ،
وخرج كفارس مغوار ...(١٢١)

---

(١٢٠) الحديث هنا عن هجرة الرسول ﷺ مع صاحبه أبي بكر الصديق .

(١٢١) روي عن علي بن أبي طالب ﷺ : أن عمر بن الخطاب لما همَّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما ، واختصر عصاه ومضى قِبَل الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف في البيت سبعا متمكنا مطمئنا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف فقال : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن يثكل أمه أو يوتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي . فما تبعه أحد من المشركين ، فكان الصحابي الوحيد الذي لم يهاجر متخفيا. - د/ محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة ،ص١٣٧.

وعلى النائم في فراش الرسول المبارك ،
في ضيافة الموت ؛
كان مطمئنا ... اطمئنان إبراهيم للنار ...
وأبو بكر ... تحمل بصبر سم الأفعى ،
ووجد فيه مذاق السكر ؛
فالأفعى ...
رغم ما لها من أسداف خادعة ،
بها موضع ترى من خلاله الجنة ...
كانا يعزفان بالأفاعي كالناي ،
كأنما كانا ينشدان مثنويا طويلا ...
وانطلق عثمان من خلفهما ،
باسطا جناحين بيضاوين ...
الكل هاجر من مغارة الشقاء الحقيقية ،
وخلف الأخ والابن والأم والأب ،
ووطن الأب والجد ،
ومراتع الصبا .
فإن أحسوا في قلوبهم حنينا للوطن ،
ألقوه عل أحجار الصحراء الغضبى ...
ورغم وعثاء السفر ،
انطلقوا نحو خيالات الشوق المأمول ...
وبعد الوصول ،
وانطفاء نار العذاب الأليم ،
وبعد الضنى ،
تمت الهجرة ...

ولاح في مياه الفؤاد ،
نسيم الصباح الوليد ،
واستقبلهم
في طرق المدينة ،
وشوارعها ،
رجال كأنهم نصب تذكارية ،
ونساء توشحن الأفق ،
وأطفال كنورات على عاتق السماء ...
إنه انطلاق جديد ،
يزلزل الأرض ويهز السماء ،
ويرطب القلب بنشيد الانطلاق ؛
طلع النهار ...
طلع البدر علينا ،
والسواطع واللوامع ...

(٣٧)

تجلسون في محال بيع الحلوى ، تنتظرون القيامة ! ...
وتضعون النعش على حافة فراش الأم !
قبل موتها !
وفي خفقة الصيف ! ...
تراودون فتاة تشتاق القيامة عن نفسها !
فما أمهركم ! ...
الفلفل اللاذع في العرق المتصبب ،
من جبين كاسر الأحجار ؛
قيامة ...
عذاب الماضي :
كدر فؤاد قلب يلعق ،
ثمالة كأس مراق ...
تغيرت الراية في القدس ،
فلا تذرف الدمع على جدرانها ،
فجندها الأسرى المحزونون ،
يدنون مستبشرين ...

عيسى ،
يعود إلى الصليب ،
في كاتدرائيات المساء ...
ليس من ألفي عام ،
بل الآن ،
يحمل الزيتون والسلام ...

إسرائيل ،
تعشق الدم والحرب في فلسطين ،
وتغرس بذرة الانتقام ،
في الأرض مكان الطعام ،
وتبادر بزراعة الشليم في الشرق ؛
ليسكت القمح ،
ويتكلم زنار الشليم ،
عن تقسيم السماء ،
وجفاف الماء ،
ونسيان الأم لصغيرها ،
ونسف الجبال ،
فهل ذلك من علامات القيامة ؟!
اليوم المشرق يقول إنها قريب ،
والمساء شاهدي يقول ،
إنها قريب ،
ستقيد في السجل
في ذيل امرأة تجلس فوق صخرة ،
في سقوط الماء من الهضاب في صحبة البرق ،
ومناد أصم ،
وزلزال بغير سماء ، وطوفان ...
وفي ميلاد طفل ،
وقذف حرارة فراشة ناحية الغرب ...
أيها الماء الفرات !
أنا مثلك ،

شاهد
على المستقبل ؛
أحدق في المرجان ،
وأفتش عن الإسفنج ،
أنظر في المنظار ؛
للجمال وهذيانها ...
للجياد ، وآثار عدوها ...
وللأثداء المتغضنة في الخريف ...
وذات حين ،
يكون قراري في أنبوب مكسور في جوف البحر ؛
والماء المتدفق خلفي ،
يستقر في دجلة والفرات ! ...
إنهم يخلطون عقلي ،
بقطران التاريخ ...
طالما رأيت الأبحر ،
وتلك الهياكل التي تنتظر الظهر ،
وقلامات المرمر الذاهلة في البحر ،
في انتظار القيامة ...
عاشوا كاللبلاب ، لا كالدلب ،[١٢٢]
فعميت عيونهم ،
وتبت أياديهم ...
المحاربون القدماء ،
خاضوا الحرب وفتشوا عن وثائق الخلاص ،

---

(١٢٢) كناية عن التهالك والتطفل الحضاري .

وهم يلتقطون التوت ،
والحضن الميت ،
وأولادهم ...
والجدات القعيدات ،
يحسبن أنها القيامة !
تجمد في شفاههن الإحياء الكاذب ...
وبركة حدائق ربوات المساء ،
انسحبت كجيش مهزوم ؛
فقد غصت بالموتى من داخلها ،
وأحاطت بها شواهد القبور ...
لم يكن هناك تراب ليغطى به الموتى ،
لم يكن إلا ثلج الشتاء دثارا ...
وها قد عاد الشتاء وثلوجه ،
وارتعدت العمائر الخرسانية ،
وذاب الإسفلت في حوافر الحمير ،
وارتفع نهيق البغال ،
وكانت سواحل البحار السوداء ،
مثل جرس اللعنة ،
مثل مرجان الشباب للجرحى ...

(٣٨)

قبل يوم القيامة ،
سيختفي الخضر من الأرض ،
ثم خضرة المروج ،
وقبله ستختفي الخضرة ، والحمرة ، والصفرة ،
التي في أشجار الدلب الشاهقة كحوائط الأزمان الغابرة ،
والأواني الصينية ، والرسوم التاريخية ، والدهان ،
والمدن الخافقة كطائر في السماء ،
والغبار الذي يُرمد العيون ...
وتقوض بيوت وساحات ،
ويهرع الناس للعراء ،
كأنهم يحملون قتيلا في الطريق ...
لكن الطرق موحشة طويلة ...
صحبة الخضر في السفر
تجلب الوحشة ،
كالوحشة التي عاشها ،
(علي) وقد ضاقت عليه الأرض ،
وهو في غسل النبي ...
يقف بجوار رأسه ،
في حجرة ضيقة ؛
وكأنما مرجان وحشي كالبحر ، كان يحرق يديه بماء يفور !
وهزت صيحة عمر لدنيا ،
كأنما انغرست سكين حادة في حلقه ...

لموت النبي ...
وأحس (أبو بكر) حفيف أجنحة جبريل حواليه ...
ووقفت نساء النبي ،
داخل البيت ،
يبكين خلف الأستار ...
وفي ساعة ضيق ؛
أحسسن أنها القيامة ...
ثم آوى (علي) إلى الوحدة في حجرته ،
فسمع همسا يملأ أرجائها ،
ولاحت له راية خضراء ،
والمهدي على رأس جيشه ،[١٢٣]
وتأجلت القيامة برهة ...
كانت القيامة في يده وثيقة ،
يحملها كأنها أخف من ريشة !
فالمهدي ،
هو موت الشهيد وقيامته ،
وهو عودة البركة ،
وهو فجر القيامة الأول ،
وهو شريان الخضر ...
وفي ليلة القدر ،
اصطفى الله الأبرار ...

---

(١٢٣) المهدي عند سزائي قراجوچ رمز للمصلح الإسلامي الذي يضطلع بمهمة الإحياء الإسلامي المنتظر وتحويله إلى واقع .

(٣٩)

في ليلة من ليالي القدر ،
بدأ قدر المسلمين ؛
الذين ذاقوا عذاب النمل فوق الأرض ،
يتحول ؛ ...
فهم أكثر الناس فقرا ...
وانسحاقا ...
وانهزاما وعذابا ...
صامتون ، مجبرون على الصمت ،
مجبرون على التغير والتبديل ...
هم حمض التاريخ ...
تفيض شلالاتهم ،
لكنهم محرومون من شربة ماء ! ...
منزوعون مطروحون خارج الجغرافيا ...

وخارج منطق الحصاد ...
يذرون الرماد فوق أطفالهم ...
مرتابون في الفجر ...
ساخرون من النهار ...
ركام من الناس محمول ؛
إلى شاطئ مستنقع !
الشمس تؤذن بالغروب ،
في مدينة مهجورة كغراب ميت ،

في مساء يأتي كل يوم كأنه المساء الأخير ...
الزجاج يتفتت في أحد القصور ،
في ثنائية الموت والحياة ...

وردة ستتفتح فجأة في أصيص ،
وستمشي على قدم إنسان ...
والنور ، النور ...
من خلفها ، وشمالها ، ويمينها ،
ستمد ذراعيها ...
فمرحى ... أي بياض هذا أي بياض ...
كأنها يدا موسى ...
ووجهها كوجه عيسى ...
هنالك يكون التغيير ؛
حيث يتجمع فيه كل الأنبياء ؛
كأنهم النبي الخاتم ...
وتنتهي مهمة الخضر ، ويلوح المهدي ،
فوق المعابر من بعيد ...[١٢٤]

(١٢٤) هذه القصيدة من أشد قصائد الديوان هجوما على العالم الإسلامي المعاصر لكن الشاعر - كعادته - لا يغريه الضياع الذي يعيشه المسلمون الآن بالتشاؤم ، بل يدعوه إلى التفاؤل والثقة بأن تغيرا لصالح المسلمين على وشك الحدوث .

(٤٠)

سيتكلم المهدي ...
قد جاء يوم الجمع والبرء ...
وغدا كل يوم وليلة ،
يوم القدر وليلة القدر ...
القرآن ينزل من السماء ،
والمطر وراءه ...
والديكة تؤذن بأعلى أصواتها ...
والأغنام لامعة أصوافها ...
والعنزات لديهم العلم الجديد المبين ؛
عن جياد البرق المتجهة من الشرق إلى الغرب ،
وهي تعلو وتهبط في جد ونشاط ...
عن جمال قوس قزح ...
والنسوة المتوشحات وشاح مريم ...
وسيعلو دخان المدخنة تارة أخرى ؛
من احتراق الخشب ...
وفي الجبال ثورة أخرى تمور ،
وفي البنفسج والأكمام والزعتر ، صوت ...
وفي النحل طنين الوحي ،
وفي النمل صمت الحكمة ،
وهيبة السلام والسعي
قد حانت ساعة الجمع والبرء والإحياء ...
لاحت من أفق المسلم الوضاء ،

من بلاد المسلمين ...
وتواثبت الكلمات ... ويا طالما انتظرت في الأحجار ،
وتغير ما في السطور ...
وانتصبت الأصوات في الأرض ...
وعذبت خاتمة الآية المكتومة دهرا ...
وعنت الوجوه لنزول سورة ...
واستقامت الأخلاق ،
قبل أن تبدأ العودة الكبرى ...
وأباح الكون نفسه يعدو نحو الجميع ...
وبخفقة جناح ...
أعاد بناء العالم ...
وبعث المجتمع ، ورشد الإنسان ...
وشد وثاق الشيطان إلى جدار ،
وتعقبه في أطناف السقف ،
وألقاه في حده القديم ...
وأعاد للمدن السعادة ،
مثل نصب العصر التذكارية ...
ووزع المرمر على البيوت ،
وقسم الشلال ،
وشق قناة الدم ،
للسيدات الحوامل ،
الخائفات في فراشهن ...

قدموا الحليب للأطفال ...
وتخيروا من الفاكهة ، التين والرمان ...

منزل (شيث) ومأواه من الزيتون ...
ومسند مريم من النخيل ...
اربطوا صيرورتكم وفناءها بالوجود ...
وليكن بصركم ثاقبا ...
ولوا وجوهكم أينما تولوها ؛
فالصيرورة هي الكينونة ...
وراسم الهيئة هو المغير ...
والمفرق هو الجامع ...
لا يتغير ...
يحول الماضي والحاضر ،
في قلامة ...
يجعل الصوت صوتا ، والأرض أرضا ...
ثم يطلق الريح كقبر يعدو ،
يطوي الأرض داخلها ...
ويخلق الإنسان ...
من مضغة ...
ثم يحسن خلقه ...
ويخلق لكلمته الفم والأذن ...
ويهبه القدرة عل العمل ،
والصبر والعقيدة ،
والقرآن والشيطان ...
والزوج والرفيق ...
وأزال الستر عن العالم ...
ثم حجبه ...

إنه صاحب الجمع الأكبر ؛
من الرؤوس والعظام ،
والشمس والقمر والنجوم ،
والجنة والنار ،
من دوامة الخلق والعدم ...
كل عصر صوت مختلف ...
من ريشة العزف الجميل ...
حي ... لم يلد ...
أول ... آخر ...

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا : في العربية

١. إبراهيم بشير الغويل: توجهات المشروع العربي الإسلامي وقسماته الحضارية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مالطا السنة الأولى، العدد الأول ١٩٩١م .

٢. أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الأنصار، القاهرة، ط١٠، ١٩٧٧م .

٣. أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، حققها وقدم لها د/ أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٤م .

٤. د/ حسين مجيب المصري: فضولي البغدادي أمير الشعر التركي القديم، دار الفكر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٧م .

٥. خليل عبد الكريم: حضارة المسلمين .. لا حضارة الإسلام، مجلة أوراق عربية، نوفمبر ١٩٨٦م .

٦. د/ رفعت سيد أحمد: الحركات الإسلامية في مصر وإيران، دار سيناء للنشر، القاهرة ١٩٨٩م .

٧. د/ سعيد بن سعيد العلوي: المثقف الغربي واستراتيجيات التنمية، مجلة الوحدة، الرباط، السنة السادسة، العدد ٦٦، مارس ١٩٩٦م .

٨. السهرودي: آداب المريدين، تحقيق فهيم شلتوت، دار الوطن العربي، القاهرة، د.ت .

٩. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، ط٩، ١٩٨٨م .

١٠. صلاح عبد الصبور: مأساة الحلاج منشورات اقرأ، د.ت .

١١. طاهر باقر: ملحمة جلجامش، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٥م .

١٢. عاصم الحسيني: سيرة إمام مجدد (بديع الزمان النورسي) مؤسسة الخدمات للطباعة، بيروت، د.ت .

١٣. عبد الرحمن شاكر: حزب الاتحاد العربي، مجلة اليقظة، الستة السادسة، العدد ٧ يوليو ١٩٩٠م .

١٤. عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٣م .
١٥. عبد المقصود محمد سالم: تفسير سورة الإسراء والكهف ومريم، مطابع الشمرلي، ١٩٦٥.
١٦. عبد الوهاب البياتي: الشعر العربي المعاصر والتراث، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الرابع، يوليو ١٩٨٨م .
١٧. فتحي رضوان: القصة القرآنية، دار الهلال ١٩٧٨م .
١٨. القرآن الكريم .
١٩. مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق ١٩٨٩م .
٢٠. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ١٩٨١م .
٢١. د/ محمد الرميحي وآخرون: المسلمون والعصر، سلسلة كتاب العربي، العدد ١٤، ١٩٨٧م .
٢٢. محمد بن أحمد بن جزى الكلبي: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ط٢، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٧٣م .
٢٣. د/ محمد حافظ دياب: سيد قطب الخطاب والأيديولوجيا، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٧م .
٢٤. د/ محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، ط٧، ١٩٧٨م .
٢٥. د/ محمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت .
٢٦. د/ محمد عمارة: العلمانية ونهضتنا الحديثة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م .
٢٧. د/ محمد فتوح أحمد: القصيدة العربية إلى أين، مجلة الشعر، العدد ٢٩، يناير ١٩٨٣م .
٢٨. د/ محمد كمال الدين إمام: هموم المثقفين في العالم الإسلامي، دار الهداية، القاهرة ١٩٨٦م .
٢٩. محيى الدين بن عربي: لطائف الأسرار، تحقيق أحمد زكي عطية، طه عبد الباقي سرور، دار الفكر العربي، ١٩٦١م .
٣٠. د/ مصطفى حلمي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية؛ دراسة حول كتاب.
٣١. هيئة تحرير مجلة الوحدة: الوحدة العربية والتكامل الاقتصادي، السنة الثامنة، العدد ٨٩، فبراير ١٩٩٢م .

ثانيا : في التركية

أ- في العثمانية :

إبراهيم حقي؛ ديواني Elif offset, ist.,1977

ب- في التركية الحديثة :

1- Ebubekir Eroğlu: Sezai Karakoç.. un şiiri, Burde yayınları. ist.. 1981 .
2- Prof. Dr. Fuad Köprülü: Edibiyatında ilk Mutasauvflar. 4.B. gaya Matbaacılık sanayii Ankara, 1981 .
3- Ord. Prof, Hilmi Ziya ülken: Türkiye, de çağdaş Düşünce Tarihi.. selçuk yayınları, ist., 1966 .
4- Prof. Dr. ilhan Arsel: Arap Milliyetçiliği ve Türkler. Remzi Kitabevi, 1.b.,ist., 1977 .
5- Islam Ansiklopedisi. 11, Milli Eğitim Basımevi, ist., 1977 .
6- Islam Ansiklopedisi, 5. cilt, 1. kısım, Milli Eğitim Basımevi, ist., 1977.
7- Prof. Dr. Mumtaz Turham: Garplilasmanin Neresindeyiz. yagmur yayınları. Ist., 1980 .
8- Necip Fazl kısakürek: son Devrin Din Mazlumları Büyük Doğu, 3.B, ist., 1974 .
9- Niyazı Berkes: Türk Düşününde Batı sorunu, Bilgi yayınevi, Ankara, 1975.
10- Peyami safa: Din-inkılap-irtica, otüken yayınevi, ist., 1979 .
11- Selçuk Eraydın: tasavvuf ve Tarıkatlar. Marifet yayınları. ist.. 1982 .
12- Seyyid Muhammed Nur: Mısrı Niyazı Divanı, Emre yayınları. ist.. 1981 .
13- Sezai Karakoç: cağ ve ilham. 11.3.B.. Diriliş yayınları. ist.. 1979 .
14- Sezai Karakoç: cağ ve ilham 111. Diriliş yayınları. ist.. 1980.
15- Sezai Karakoç: Diriliş Muştusu. Diriliş yayınları, ist., 1980 .
16- Sezai Karakoç: Farklar. 3.B.. Diriliş yayınları. ist.. 1979 .
17- Sezai Karakoç: Hizirla kirk saat. 5.B. Diriliş yayınları. ist.. 1982 .
18- Sezai Karakoç: insanliğin Dirilis. Diriliş yayınları, ist.. 1979 .
19- Sezai Karakoç: islam toplumunun Ekonomik strukturu. 4.B.. Diriliş yayınları. ist., 1980 .
20- Sezai Karakoç: Makamda. Diriliş yayınları. ist., 1980 .
21- Sezai Karakoç: sur. 2.B., Diriliş yayınları. ist., 1979 .
22- Sezai Karakoç: yunus Emre, 4.B., Diriliş yayınları. ist., 1979 .
23- Şakir Diclehan: Sanat ve Düsünce Dünyasinda Sezai Karakoc, piran yayınları. ist., 1981 .
24- Türk Dili ve Edebiyati Ansikopedisi, 4. cilt, Dergah yayınları. ist.. 1981 .
25- Türk Dili ve Edebiyati Ansikopedisi. 5. cilt, Dergah yayınları. ist.. 1982 .

الفهرست